

الأمانة مفهومها وأهميتها وأنواعها وآثارها

د. علي سعيد عثمان محمد^١

مستخلص البحث:

إنَّ الناظر في شرائع الإسلام وتعاليمه، يجد أنها جميعها إنما جاءت لمصلحة البشر، وسعادة الناس، وتكوين مجتمع يسود فيه النظام، والمحبة، والتآلف، ومن أجلَّ وأعظم هذه الصفات والتعاليم التي حثَّ عليها الإسلام صفة الأمانة، وهي كنز من كنوز الدين، ودعامة رئيسة من دعائمه، بل أن الدين كله أمانة.

قد جاء هذا البحث ليلقي الضوء على خلق الأمانة، وقد ركز البحث على مفهوم الأمانة ومجالاتها، وأهميتها، وأنواعها، وأقوال السلف فيها، كما تناول البحث خطورة تضييع الأمانة، وفوائدها وثمراتها.

من أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، حفظ الأمانة، وحسن أدائها، دليل على صدق إيمان العبد، وخيانة الأمانة دليل على نفاق العبد، و بالأمانة تصان الأعراض، والأموال، والدماء، وجميع حقوق العباد، وبها تستقيم حال الناس مع الله عز وجل، لأنها تعم جميع وظائف الدين.

بناءً على ما خلصت إليه الدراسة يوصي الباحث، بضرورة التحلي بخلق الأمانة، والتمسك به، لما له من فوائد وثمرات عظيمة في الدنيا والآخرة، وضرورة توجيه المجتمع، وحثه على الالتزام بالأخلاق الحميدة، ودفعه إلى تحقيق الأمانة في جميع المستويات والأحوال.

^١ أستاذ مساعد بكلية الدعوة الإسلامية - قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

Abstract:

The beholder in the teachings of Islam and its teachings, find it all but came to the interests of human beings, and people's happiness, and the formation of a society where there is order, and love, and authoring, and for the greatest of these qualities and teachings urged by Islam recipe Secretariat, the treasures of the debt, and a pillar head of foundations, but that all religion secretariat. This research has come to light is shed on the creation of the secretariat, research has focused on the concept of the Secretariat and its fields, and its importance, types, and the Salaf, also touched on the risk of loss of trust, and its benefits and Thmradtha.

Of the most important findings of the researcher, keeping the Secretariat, and good performance, user and sincerity faith slave, and dishonesty evidence hypocrisy slave, and the Secretariat maintained symptoms, money, and blood, and all the rights of other people and their upright if people with God Almighty, because it pervades all The functions of religion.

Based on the findings of the study researcher recommends, need moral standing secretariat, and stick with it, because of its benefits and fruits of great in this world and the hereafter, and the need to guide the community, and urged him to abide by good manners, and to pay to achieve the Secretariat at all levels and conditions.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين وعلى اله وصحبه اجمعين، وبعد ...

الأمانة من الأخلاق الاجتماعية التي تدل على سمو المجتمع، وتماسك بنياته، وهي خلق من أخلاق الأنبياء والمرسلين، وفضيلة من فضائل المؤمنين، عظم الله أمرها، ورفع شأنها، وأعلى قدرها، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ الأحزاب: ٧٢، ويقول في وصف عبادة المخلصين المؤمنين: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴾ المؤمنون: ٨ .

وتهدف هذه الدراسة للوقوف على مفهوم الأمانة، ومجالاتها، وتوضيح أهميتها وأنواعها، ثم تبيين آثار تضييعها، وأبرز فوائدها وثمراتها. وتكمن مشكلة هذه الدراسة في الإجابة على عدد من الأسئلة منها، ما الأمانة؟ وما مجالاتها؟، ما هي أهمية الأمانة؟، وما أنواعها؟، ما هي خطورة تضييعها؟، وما فوائد الأمانة وثمراتها؟

لقد استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وذلك يعرض المعلومات التي تتصل بالأمانة، ثم تحليلها وفق ما يحقق أهداف الدراسة. قد احتوت الدراسة على مقدمة، وثلاثة مباحث، أما المبحث الأول: فقد تناول مفهوم الأمانة ومجالاتها، فيما خصص المبحث الثاني: لأهمية الأمانة وأنواعها وأقوال السلف فيها، وجاء المبحث الثالث يتحدث عن خطورة تضييع الأمانة وفوائدها وثمراتها. الخاتمة واشتملت على أهم النتائج والتوصيات، ثم يليها فهرس الهوامش.

المبحث الأول

مفهوم الأمانة ومجالاتها

أولاً: مفهوم الأمانة في اللغة:

الأمانة ضد الخيانة، وأصل الأمن: طمأنينة النفس و زوال الخوف، والأمانة مصدر أمن بالكسر، أمانة فهو أمين، ثم استعمل المصدر في الأعيان مجازاً، فقيل الوديعة أمانة ونحوه، والجمع أمانات، فالأمانة اسم لما يؤمن عليه الإنسان، نحو قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الأنفال: ٢٧، أي ما ائتمنتم عليه وقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ الأحزاب: (٧٢)^(١) والأمانة تأتي في القرآن الكريم ويراد بها عدد معاني منها^(٢).

الفرائض: ومنه قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الأنفال: ٢٧.

الوديعة: ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ النساء: ٥٨ . العفة: ومنه قوله تعالى:

﴿قَالَتْ إِحَدُهُمَا يَا بَتِ اسْتَعْجِرِي بِكِ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَعْجَرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ القصص: ٢٦.



ثانياً: مفهوم الأمانة في الاصطلاح:

لقد تعددت تعريفات العلماء للأمانة نذكر فيها ما يلي:

- ١ - عرفها الكفوي: (كل ما أفترضه الله على عبادة فهو أمانة، كالصلاة، والزكاة، والصيام، وأداء الدين، وأوكدها الودائع، وأوكده الودائع كتم السر)^(٣).
- ٢ - عرفها الجاحظ بقوله: (التعفف عما يتصرف الإنسان فيه من مال وغيره، وما يوثق به عليه من الأعراض، والحرمة القدرة عليه، ورد ما يستودع إلى مودعه)^(٤).
- ٣ - عرفها المناوي بأنها: (كل حق لزمك أداؤه وحفظه)^(٥).

ويرى الباحث أي من التعريفات السابقة يمكن أن يكون تعريفاً للأمانة.

ثالثاً: مجالات الأمانة وصورها:

للأمانة مجالات وصور كثيرة نذكر منها الآتي:

١/ الأمانة في العبادة:

فمن الأمانة أن يلتزم المسلم بالتكاليف، فيؤدى فروض الدين، كما ينبغي، ويحافظ على الصلاة، والصوم والزكاة وبر الوالدين، تمدها من الفروض التي يجب علينا أن نؤديها بأمانة لله رب العالمين، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الأنفال: ٢٧، وقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ الأحزاب: ٧٢، وقد عرف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله العبادة فقال: (هي اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال والأعمال، الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة، وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين، وأمثال ذلك من العبادة).

٢ - الأمانة في الودائع:

ولقد أمر الله عز وجل برد الودائع إلى أهلها فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ النساء: ٥٨، ومن الأمانة حفظ الودائع و أداؤها لأصحابها عندما يطلبونها كما

هي، مثلما فعل الرسول ﷺ مع المشركين، من كانوا يتركون ودائعهم عند الرسول ﷺ " ليحفظها لهم، ولذا فقد حثنا الشارع الحكيم على رد الودائع إلى أصحابها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ النساء: ٥٨، وجاء في الحديث: (من أخذ ممول الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله)^(٦).

٣ - الأمانة في العمل:

ومن الأمانة أن يؤدى المرء ما عليه على خير وجه، فالعامل يتضمن عمله، ويؤديه بإجادة وأمانة، فيقول الرسول ﷺ: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه)^(٧).

٤ - الأمانة في حفظ الأسرار:

فالمسلم يحفظ سر أخيه ولا يخونه، ولا يفشى أسرار، عن عبد الرحمن بن سعد، قال سمعت أبا سعيد الخدري يقول قال رسول الله ﷺ: (إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة، الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه، ثم ينشر سرها "، وقال ابن نمير: " إن أعظم ^(٨) وتكون الأمانة في الأسرار بكتمانها^(٩).

٥ - الأمانة الكلام:

ومن الأمانة أن يلتزم المسلم بالكلمة الجادة، فيعرف قدر الكلمة وأهميتها، فالكلمة قد تدخل صاحبها الجنة وتجعله من أهل التقوى، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ إبراهيم: ٢٤-٢٦، ولقد دعا الله تعالى: إلى الحسن من القول، فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا

الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿البقرة: ٨٣﴾
فالكلام الحسن الطيب هو الذي يصعد إلى الله تعالى قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ
الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۗ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۗ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ
شَدِيدٌ ۗ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ ﴿فاطر: ١٠﴾ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي
صلى الله عليه وسلم: قال: ((إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالاً،
يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالاً، يهوي
بها في جهنم))^(١٠).

٦- الأمانة في الأعراض:

فمن الأمانة في الأعراض، العفة عما ليس للإنسان به حق منها، وكف النظر
واللسان عن نيل شيء منها بسوء، كالقذف و الغيبة.

٧ - الأمانة في سائر الحواس:

وتكون الأمانة فيها بكفها عن العدوان على أصحاب الحقوق، وبحفظها عن
معصية الله فيها، وبتوجيهها للقيام بما يجب فيها من أعمال، فاستراق السمع خيانة،
استراق النظر إلى ما لا يحل النظر إليه خيانة، واستراق اللمس المحرم خيانة^(١١)،
قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿الاسراء: ٣٦﴾.

٨ - الأمانة في النصيح والمشورة:

ومن صور الأمانة أن تنصح من استشارك، وأن تصدق من وثق برأيك، فإذا
عرض عليك أحد من الناس موضوعاً معيناً، وطلب معك الرأي والمشورة والنصيحة،
فاعلم إن إبداء رأيك له أمانة، فإذا أشرت عليه بغير الرأي الصحيح فذلك خيانة، وقد
قال رسول الله ﷺ: ((إن المستشار مؤتمن، خذ هذا فإني رأيتك يصلي واستوص به
معروفا))^(١٢).

٩ - الأمانة في العلم:

وهذه الأمانة حملها العلماء، وهذا جعلهم يواصلون الليل والنهار لدعوة الناس ويبصرون أبناء الأمة بدينهم، ويصفون الطريق للسالكين ويهدون إلى الله ويبينوا للناس ما يجب تبليغه، فلا يجوز شرعا أن يكتموا ما أنزل الله من البينات والهدى، ولا يصح لهم في دين الله أن يؤول النصوص على نقيض ما تحتتمل، فإذا فعلوا شيئا من هذا بأنهم كتموا علماً وجب عليه تبليغه، أو نصاً وجب عليهم توضيحه، فيكونوا خائني لأمانة العلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ البقرة: ١٥٩، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ - مِمَّا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُفُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا أَلْنَارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ البقرة: ١٧٤، وقد أكد النبي ﷺ، كتمان العلم من الخيانة، وأن من يكتم علماً ينفع الله به الناس استحق جهنم، عن أبي عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (تتاصحوا في العلم، فإن خيانة أحدكم في علمه أشد من خيانتة فيما له، وإن الله عز وجل سائلكم يوم القيامة)^(١٣) وقال ﷺ: (من كتم علماً مما ينفع الله به في أمر الناس أمر الدين، أجمه الله يوم القيامة بلجام من النار)^(١٤).

ومما تقدم يتبين أن حفظ الأمانة، وحسن أدائها، دليل على صدق وإيمان العبد، وخيانة الأمانة دليل على نفاق العبد، كما جاء في الحديث: (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)^(١٥)، عليه يجب على كل مسلم أن يتحرى الأمانة في أقواله وأفعاله وسائر أحواله، حتى يدخل في قول

الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ المؤمنون: ٨

المبحث الثاني

أهمية الأمانة وأنواعها وأقوال السلف فيها

أولاً: أهمية الأمانة ومكانتها في الإسلام:

إن الأمانة من أجل الأخلاق الإسلامية التي بنيت عليها شريعة رب العالمين، وبالأمانة تصان الأعراض، والأموال، والدماء، وجميع حقوق العباد، وبها تستقيم حال الناس مع الله عز وجل، لأنها تعم جميع وظائف الدين كما قال القرطبي في تفسيره^(١٦).

ولأهمية الأمانة ومكانتها أمر الله بحفظها ورعايتها، وفرض أداءها، والقيام بحقها. قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَلَنْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ مِنْ أَمْنَتِهِ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكُونُوا الشَّاهِدَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٨٣ ويقول تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ النساء: ٥٨، ويقول الرسول ﷺ: (أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك)^(١٧).

ولأهمية الأمانة ومكانتها قد أمرنا الله بعدم الخيانة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٧) الأنفال: ٢٧، بل نفي النبي ﷺ الإيمان لمن لا أمانه له فقال: (لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له)^(١٨)، كما بين النبي ﷺ بأن الأمانة علامة من علامات الإيمان، والخيانة علامة من علامات النفاق قال ﷺ: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان)^(١٩).

ولأهمية الأمانة ومكانتها اثني الله علي عباده المؤمنين بحفظهم لها. فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (٨) المؤمنون: ٨. ومن فضل الأمانة ومكانتها، فهي خلق الرسول ﷺ فقد كان يلقب قبل وبعد البعثة "بالصادق الأمين".

ومن أهميه الأمانة إنها أغلي ما يرزقه الله للعبد، ولا يحزن بعده على أي عرض من الدنيا، كما جاء في الحديث: (أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليفة، وعفة طعمة)^(٢٠).

ومما تقدم يتبين أهميه الأمانة ومكانتها في الإسلام، عليه يجب علي كل مسلم التخلق بخلق الأمانة حتى ينال مرضاة الله عز وجل، ويكون من عباده الذين

أنثي عليهم بقوله ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ المؤمنون: ٨.

ثانياً: أقسام الأمانة:

تنقسم الأمانة إلى ثلاثة أقسام:

١/ الأمانة في أداء حق الله عز وجل من توحيده وإقراره بالعبادة، وفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، متيقن بذلك مع الله سراً وعلانية، وهذه هي الأمانة الكبرى، وعلى العبد أن يؤديها أول ما يؤدي من الأمانات، ومنها تتبثق جميع الأمانات، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ البينة: ٥

٢/ أمانة النعم التي أنعم الله تعالى بها على العبد كالسمع والبصر و العافية والمال والأولاد، فهي نعم كثيرة لا يمكن حصرها ولا عدها قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ النحل: ١٨، فواجب المكلف أن يستعمل الجوارح والصحة والمال، وسائر النعم كلها يصرفها في كل ما يقربه إلى الله تعالى، وحينئذ يكون قد حفظ الأمانة وأداها على الوجه المطلوب، ويكون في المقابل أن الله يحفظك كما جاء في الحديث (يا غلام إني أعلمك كلمات، أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله)^(٢١) فمن أدى الأمانة في حدود الله، وراعى حقوقه في نفسه، وما آتاه الله من النعم، حفظه الله في مصالح دينه ودنياه، لأن الجزاء من جنس العمل كما قال تعالى: ﴿ يَبْنَئُ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ

عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴿٤٠﴾ البقرة: ٤٠ وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّصَرُوا لَنَنْصُرَهُمْ وَإِن يَنْصُرُوا لَنَنْصُرَهُمْ وَيَلِيَّتْ أَقْدَامُكُمْ ﴿٧﴾ محمد: ٧.

٣/ الأمانة بأداء حقوق العباد، كالودائع، والأموال، والأعراض، وغيرها مما سبق توضيحه، ولقد تحدث القرآن عن فضيلة الأمانة مبينا شأنها وحاثا على رعايتها وصيانتها قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ النساء: ٥٨، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿٨﴾ المؤمنون: ٨، وفي مقابل تقسيم الأمانة فإن الخيانة ثلاث أقسام أيضاً هي:

١/ خيانة لحقوق الله تعالى، وأعظمها الكفر والشرك، ويأتي بعدها الفسوق والعصيان.
٢/ خيانة لحقوق الرسول صلى الله عليه وسلم، وفيها إهمال سنته إلى البدع، أو الأحداث فيها ما ليس فيها.
٣/ الخيانة لحقوق الخلق، ومستحقاتهم، كالخيانة في أموالهم، وأعراضهم.

قد جمعت هذه الأقسام الثلاثة في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ الأنفال: ٢٧.
ثالثاً: أمانة الرسول ﷺ:

تعتبر الأمانة من أبرز أخلاق الرسل عليهم السلام، بل صفة من الصفات الواجب توفرها في كل رسول. لذلك جاء جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام واخبروا أقوامهم بأمانتهم في تبليغ الرسالة إليهم فقد قال نبي الله نوح: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ الشعراء: ١٠٧، وقال نبي الله هود: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ الشعراء: ١٢٥، وقال نبي الله صالح: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ الشعراء: ١٤٣، وقال نبي الله شعيب: ﴿إِنِّي لَكُمْ

رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿الشعراء: ١٧٨﴾ كما قال نبي الله لوط ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ الشعراء: ١٦٢
وقال نبي الله موسى ﴿أَنْ أَدُورًا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ الدخان: ١٨. (٢٢)
وأشهر من اتصف بالأمانة منهم هو سيدنا محمد ﷺ، حيث نجد الأمانة في كل أمور
حياته قبل وبعد البعثة. (٢٣)

أما أمانته قبل البعثة، فقد عرف بين قومه بالأمين ولقب به، فها هي القبائل
من قريش لما بنت الكعبة حتى بلغ البنيان موضع الركن، الحجر الأسود، اختصموا
فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلي موضعه دون القبيلة الأخرى حتى تخالفوا واعدوا
للقتال، فمكثت قريش علي ذلك أربع ليال أو خمسا، ثم تشاوروا في الأمر، فأشار
احدهم بأن يكون أول من يدخل من باب المسجد هو الذي يقضي بين القبائل في هذا
الأمر، ففعلوا، فكان أول داخل عليهم رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا،
هذا محمد، فلما أتى إليهم أخبروه الخبر، قال عليه الصلاة والسلام: (هلم لي ثوبا،
فأنتي به، فأخذ الركن، فوضعه فيه بيده، ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم
أرفعوه جميعا ففعلوا، حتى بلغوا موضعه، وضعه هو بيديه، ثم بني عليه) (٢٤).

وأما أمانته بعد البعثة فقد أدى الرسول ﷺ الأمانة الكبرى التي تكفل بها وهي
الرسالة. أعظم ما يكون الأداء، وتحمل في سبيلها أعظم أنواع المشقة، قال تعالي:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة: ٣

وقد شهد له العدو قبل الصديق بأمانته، ومن أمثله ذلك ما جاء في حوار أبي
سفيان (قبل إسلامه) وهرقل، حيث قال هرقل: (أخبرني أبوسفيان، أن هرقل قال له:
سألتكم بماذا يأمركم؟ فزعمت: "أنه أمركم بالصلاة، والصدق، والعفاف، والوفاء بالعهد،
وأداء الأمانة"، قال: وهذه صفة نبي) (٢٥) وفي موضع آخر يقول هرقل (وسألتك هل
يغدر، فزعمت أن لا، وكذلك الرسل لا يغدرون) (٢٦).

رابعاً: أقوال السلف في الأمانة:

ومن قول السلف والعلماء في الصدق ما يلي:

(١) قال مجاهد: (المكر والخديعة والخيانة في النار، وليس من أخلاق المؤمن المكر ولا الخيانة)^(٢٧).

(٢) عن هشام أن عمر رضي الله عنه قال: (لا تغرنى صلاة امرئ ولا صومه، من شاء صام، ومن شاء صلى، لا دين لمن لا أمانة له)^(٢٨).

(٣) قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (القتل في سبيل الله كفارة كل ذنب إلا الأمانة، وإن الأمانة: الصلاة، والزكاة، والغسل من الجنابة، والكيل، والميزان، والحديث، وأعظم من ذلك الودائع)^(٢٩).

(٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أول ما يرفع من هذه الأمة الحياء والأمانة، فسألوها الله)^(٣٠).

(٥) قال نافع مولي ابن عمر: (دخل ابن عمر رضي الله عنهما المسجد فطاف سبعا، وصلى ركعتين ثم خرج، فلقيه رجل من قريش على باب المسجد، فقال: يا أبا عبدالرحمن، قد طفت وصليت؟ قال: نعم، قال: ما أسرع هذا؟ قال: " أجل، أنتم أكثر منا طوفا وصياما، ونحن خير منكم، نحن نأتي صدق الحديث، وأداء الأمانة، وإنجاز الوعد)^(٣١).

(٦) قال سفيان بن عيينه: (من لم يكن له رأسمال فليتخذ الأمانة رأسماله)^(٣٢).

(٧) قال الإمام الشافعي (آلات الرئاسة خمس: صدق اللهجة، وكتمان السر، والوفاء بالعهد، وإبداء النصيحة، وأداء الأمانة)^(٣٣).

(٨) قال ابن أبي الدنيا: (الداعي إلي الخيانة شيئان: المهانة وقلة الأمانة، فإذا أحسهما عن نفسه بما وصفت ظهرت مروءته)^(٣٤).



المبحث الثالث آثار تضييع الأمانة

أولاً: آثار تضييع الأمانة:

لتضييع الأمانة آثار خطيرة منها:

١/ ضياع الأمانة دليل على ضياع الإيمان أو نقصانه:

عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: (لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له) ^(٣٥)، فإذا نقص الإيمان، أو ذهب فلا يكون الإنفاق.

٢/ ضياع الأمانة من علامات النفاق:

عن أبي هريرة رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: " آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان" ^(٣٦)، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر " تابعه شعبة، عن الأعمش) ^(٣٧) فإذا ضاع الإيمان، وظهر النفاق فسد الزمان.

٣/ ضياع الأمانة دليل على فساد الزمان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم (قبل الساعة سنون خداعة، يكذب فيها الصادق، ويصدق فيها الكاذب، ويخون فيها ويؤتمن فيها الخائن، وينطق فيها الروبيضة" قال سريج: وينظر فيها للروبيضة) ^(٣٨)، وإذا فسد الزمان فإن هذا دليل على قرب الساعة.

٤/ ضياع الأمانة علامة من علامات الساعة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم، جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكروهما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: " أين - أراه - السائل عن الساعة " قال: ها أنا يا

رسول الله، قال: " فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة "، قال: كيف إضاعتها؟ قال: " إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة" (٣٩).

وجاء في الحديث أيضاً: (إن من أشرط الساعة الفحش، والتفحش، وسوء الجوار، وقطع الأرحام، وأن يؤتمن الخائن، ويخون الأمين. ومثلاً لمؤمن كمثل النحلة، أكلت طيباً، ووضعت طيباً، ألا إن أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده. ألا إن حوضي طوله كعرضه، أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، أنيته عدد النجوم، من أقداح الذهب والفضة، من شرب منه شربة لم يظماً آخر ما عليها أبداً) (٤٠).

فذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: (اللهم أني أعوذ بك من الصمم والبكم، وأعوذ بك من المأثم، والمغرم، وأعوذ بك من موت الهدم، وأعوذ بك من موت الجوع، فإنه بنس الفجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بنس البطانة "، قلت: عند النسائي بعضه) (٤١).

ثانياً: فوائد الأمانة وثمراتها:

للأمانة فوائد وثمرات كثيرة نذكر فيها الآتي:

١/ الأمانة سبب لمحبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم:

أخرج البيهقي في شعب الإيمان، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: "من سره أن يحبه الله ورسوله فليصدق حديثه إذا حدث، وليؤد أمانته إذا ائتمن، وليحسن جواره إذا جاور" (٤٢).

٢/ الأمين كالغازي في سبيل الله:

أخرج الإمام أحمد وأبو داؤود عن رافع بن ضريح رضي الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: (العامل على الصدقة بالحق كالغازي في سبيل الله حتى يرجع إلى بيته) (٤٣).

٣/ بين الرسول ﷺ أن الغازي الأمين هو أحد المتصدقين:

أخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الخازن الأمين، الذي يؤدي ما أمر به طيبة نفسه، أحد المتصدقين)^(٤٤).

٤ / الأمانة سبب البركة والنماء:

فقد أخرج البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، - أو قال: حتى يتفرقا - فإن صدقا وبينا بورك لهما فيبيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما"^(٤٥) فإذا ذهبت الأمانة وكانت الخيانة فقد ذهبت البركة.

٥ / الأمانة سبب لحفظ الأهل والمال:

قال الخضر لموسي عليه السلام مبينا سبب بنائه للجدار كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ الكهف: ٨٢، وكان سعيد بن جبير يقول في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ الكهف: ٨٢، كان يؤدي الأمانات والودائع إلى أهلها فحفظ الله تعالى له كنزه، حتى أدرك ولداه، فاستخرجا كنزهما^(٤٦).

٦ / الأمانة سبب للنجاة والمرور علي الصراط:

فقد اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم: إن الأمانة والرحم تقومان يوم القيامة علي جنبتي الصراط، عندما يمر الناس علي الصراط الذي وضع فوق جهنم، يا له من موقف عصيب، فكل من ضيع الأمانة، وقطع الأرحام فلن يثبت علي الصراط، فأما من وصل رحمه وأدى الأمانة فيثبت إن شاء الله على الصراط، ويمر إلي الجنة حيث النعيم المقيم، فيتمتع بالنظر إلي وجه الله الكريم.

٧ / أداء الأمانة سبب لدخول الجنة:

أخرج الإمام أحمد أوابه حيان، والحاكم عن عباده بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اضمنوا لي ستا أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم)^(٤٧).

وقد جاء في موسوعة نضرة النعيم، أن فوائد الأمانة تتلخص فيما يلي:

- (١) الأمانة من كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- (٢) يقوم عليها أمر السماوات والأرض.
- (٣) هي محور الدين وامتحان رب العالمين.
- (٤) بالأمانة بحفظ الدين، والأعراض، والأموال، والأجسام، والأرواح والمعارف، والعلوم، والولاية، والوصايا، والشهادة، والقضاء، والكتابة.
- (٥) الأمين يحبه الله ويحبه الناس.
- (٦) من أعظم الصفات الخلقية التي وصف الله بها عباده المؤمنين بقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴾ المؤمنون: ٨.
- (٧) مجتمع تفشو فيه الأمانة مجتمع خير وبركه.

ومما تقدم يتبين خطورة تضيع الأمانة، وفوائد تحقيقها وثمراتها، فعلى المسلم أن يؤدي الأمانة بفعل المأمور، واجتناب المحذور، والإكثار من الطاعات لينال محبة الله عز وجل، كما جاء في الحديث: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته)^(٤٨).

الخاتمة:

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات .

أولاً: النتائج:

لقد توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى الآتي:

١. حفظ الأمانة، وحسن أدائها، دليل على صدق إيمان العبد، وخيانة الأمانة دليل على نفاق العبد.
٢. بالأمانة تصان الأعراض، والأموال، والدماء، وجميع حقوق العباد وبها تستقيم حال الناس مع الله عز وجل، لأنها تعم جميع وظائف الدين.
٣. للأمانة فوائد عظيمة في الدنيا والآخرة.

ثانياً: التوصيات:

ومما تقدم يوصي الباحث بالآتي:

١. ضرورة التحلي بخلق الأمانة، والتمسك به، لما له من فوائد وثمرات عظيمة في الدنيا والآخرة.
٢. ضرورة توجيه المجتمع، وحثه على الالتزام بالأخلاق الحميدة، ودفعه إلى تحقيق الأمانة في جميع المستويات والأحوال.

الهوامش:

- ١ / ابن منظور لسان العرب، باب أمن، ط ١، ج ١٣، بيروت دار الصادر ٢٠٠٠، ص ٢١.
- ٢ / الفيروز أبادي، بصائر ذوي التميز، مادة أمن، ج ٢، ص ١٥٢.
- ٣ / الكفوي، الكليات، بيروت مؤسسة الرسالة، ١٤١٩ هـ، ص ٢٦٩.
- ٤ / الجاحظ، تهذيب الأخلاق، طنطا، دار الصحابة للتراث، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، ص ٢٤.
- ٥ / المناوي، فيض القدير، ج ١، ص ٢٨٨.
- ٦ / صحيح البخاري، كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها، حديث: ٢٢٧٩
- ٧ / المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني - كتاب البيوع، باب الصناعات وكسبهم - حديث: ١٣٩٠.
- ٨ / صحيح مسلم - كتاب النكاح، باب تحريم إقضاء سر المرأة - حديث: ٢٦٧٦.
- ٩ / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج ١، ط ٢، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، دمشق دار القلم، ص ٥٩٥.
- ١٠ / صحيح البخاري - كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان - حديث: ٦١٢٣.
- ١١ / عبد الرحمن حسن حبنكة، مرجع سابق، ص ٥٩٥.
- ١٢ / سنن الترمذي الجامع الصحيح - الذبائح، أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، حديث: ٢٣٤٩
- ١٣ / المعجم الكبير للطبراني - من اسمه عبدالله، وما أسند عبدالله بن عباس رضي الله عنهما - عكرمة عن ابن عباس، حديث: ١١٤٩٤.

- ١٤ / سنن ابن ماجه، المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، باب من سئل عن علم فكتمه، حديث: ٢٦٣.
- ١٥ / صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق - حديث: ٣٤.
- ١٦ / انظر القرطبي في تفسيره، ج، ص ١٥٣-١٥٨
- ١٧ / المستدرک على الصحيحين للحاكم، كتاب البيوع، وأما حديث أبي هريرة، حديث: ٢٢٣٨.
- ١٨ / صحيح ابن حبان - كتاب الإيمان، باب فرض الإيمان - ذكر خبر يدل على أن المراد بهذه الأخبار نفي الأمر عن، حديث: ١٩٤.
- ١٩ / صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، حديث: ٣٣.
- ٢٠ / الجامع في الحديث لابن وهب - هذا كتاب الصمت، باب العزلة - حديث: ٥٣٣.
- ٢١ / سنن الترمذي الجامع الصحيح، الذبائح، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، حديث: ٢٥٠٠.
- ٢٢ / أنظر أسامه طه حمودة، سلوكيات مرفوضة، ص ٣١.
- ٢٣ / أنظر حسن المرسي، الأخلاق الإسلامية ص ١٧٣
- ٢٤ / انظر ابن هشام السيرة النبوية (١٣٨١).
- ٢٥ / صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد - حديث: ٢٥٥٦.
- ٢٦ / صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة - حديث: ٢٨٠٣.
- ٢٧ / مكارم الأخلاق للخرائطي، باب حفظ الأمانة وذم الخيانة، حديث: ١٦٢.
- ٢٨ / مكارم الأخلاق للخرائطي، باب حفظ الأمانة وذم الخيانة، حديث: ١٥٠.
- ٢٩ / مكارم الأخلاق للخرائطي، باب حفظ الأمانة وذم الخيانة، حديث: ١٤٨.

- ٣٠ / المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني - كتاب الأدب، باب فضل الحياء - حديث: ٢٦٨٧
- ٣١ / أخبار مكة للفاكهي - ذكر من رخص في الكلام في الطواف بالخير والدعاء، حديث: ٣٤١.
- ٣٢ / شعب الإيمان للبيهقي - الخامس والثلاثون من شعب الإيمان وهو باب في الأمانات وما يجب، حديث: ٥٠٣٥.
- ٣٣ / الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط ١١، ج ١٩، مؤسسة الرسالة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ص ٣٠.
- ٣٤ / الماوردي، أدب الدنيا والدين، ط ١، دار الكتب العلمية ١٤٠٧هـ، ١٩٧٨م، ص ٣٣٣.
- ٣٥ / صحيح ابن حبان - كتاب الإيمان، باب فرض الإيمان - ذكر خبر يدل على أن المراد بهذه الأخبار نفي الأمر عن، حديث: ١٩٤
- ٣٦ / صحيح البخاري - كتاب الإيمان، باب علامة المنافق - حديث: ٣٣.
- ٣٧ / صحيح البخاري - كتاب الإيمان، باب علامة المنافق - حديث: ٣٤.
- ٣٨ / مسند أحمد بن حنبل - ومن مسند بني هاشم، مسند أبي هريرة رضي الله عنه - حديث: ٨٢٧٢.
- ٣٩ / صحيح البخاري - كتاب العلم، باب من سئل علما وهو مشتغل في حديثه - حديث: ٥٩.
- ٤٠ / مساوئ الأخلاق للخرائطي - باب ما جاء في قطيعة الرحم من الكراهة والتغليظ، حديث: ٢٧٥.
- ٤١ / مسند الحارث - كتاب الأذكار، باب الاستعاذة - حديث: ١٠٤٨.
- ٤٢ / مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا - باب ما جاء في الأمانة، حديث: ٢٦٠.

- ٤٣ / صحيح ابن خزيمة - كتاب الزكاة، جماع أبواب ذكر السعاية على الصدقة -
باب ذكر الدليل على أن التخليط في العمل على السعاية المذكور، حديث: ٢١٧١.
- ٤٤ / صحيح البخاري - كتاب الإجارة، باب استئجار الرجل الصالح - حديث:
٢١٦٢.
- ٤٥ / صحيح البخاري - كتاب البيوع، باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا -
حديث: ١٩٨٩.
- ٤٦ / انظر: الألباني، في تحقيق المشكاة، حديث: ٤٩٩٠.
- ٤٧ / صحيح ابن حبان - كتاب البر والإحسان، باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر - حديث: ٢٧٠.
- ٤٨ / صحيح البخاري - كتاب الرقاق، باب التواضع - حديث: ٦١٤٧.

إسهام الثقافة الإسلامية في رقي الإنسان

إعداد: د. موسى محمد نور الضو آدم*

المقدمة:

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعم وجعلنا أتباع أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد إن الثقافة الإسلامية ثقافة عالمية بشرية تدعو إلى الخير والإصلاح والبناء والأعمار في كل المجالات الإنسانية ونواحي الحياة فلا تمييز بين عرق وعرق إلا بالتقوى، ومن ثم ارتقت الحياة الإسلامية وذاع صيتها في أرجاء المعمورة واستفاد من علمائها الذين بهروا الدنيا بعلمهم، فجاء هذا البحث متناولاً وموضحاً أن الثقافة الإسلامية مكوناً معرفياً، يصنع خصوصيتها مكون القيم، مما جعل خصائصها تسهم في التقدم الإنساني والرشد العالمي، وذلك لأنها منطلقة من القرآن الكريم الذي جاء رحمة للعباد، ومن الرسالة المحمدية التي جاءت بالبشرى والرحمة لكافة الناس قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧). والثقافة الإسلامية إنسانية لأنها تبدأ بمعرفة الإنسان ما له وما عليه مراعية ذلك الأشياء التي لا يقدر عليها الإنسان، قال تعالى: ﴿لَا يُكْفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦) وهي فاصل نوعي بين الإنسان وسائر المخلوقات، بل أنها قوام الحياة الاجتماعية وظيفاً وحركة. القيم الإسلامية تحقق وظائف عدة، ففيما يتعلق بالفرد تحاول رفعه فوق مرتبته الراهنة، وتعمل على العلو به عن المستوى الحيواني الذي يقتصر على الماديات من طعام وشراب، إلى المستوى اللائق بكرامة الإنسان وتقدمه ورفقيه، وفيما يتعلق بالمجتمع فإنها تحقق أعظم عامل للربط بين أفراده والسمو بالجماعة من المرتبة المادية الحيوانية إلى مرتبة الحضارة والمدنية، وتقيم الصلات

* أستاذ مساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية - رئيس إدارة التدريب والنشاط الدعوي بالكلية

بين الأفراد والهيئات في المجتمع على أسس نبيلة كريمة تعتمد على الإيثار والتفاني في سبيل الخير، والصفات التي وصف الله تعالى بها نفسه تبقى أمام الإنسان منارات يترسمها في فكره وسلوكه، فالكرم والحلم والإحسان والرأفة والرحمة كلّها قيم عليا، ترفع المؤمن إلى تمثلها في سلوكه وحياته. فالثقافة الإسلامية تمتلك من الخصائص الذاتية ما يجعلها تلتقي مع الفطرة، و تحقق إنسانية الإنسان، وتحمي كرامته، وتصون حرّيته، وتحقق له اختياره، وتهدّيه إلى المنهاج الحق، الذي يشكل دليل التعامل مع الحياة والأحياء.

والقرآن الكريم هو المصدر الأصيل للثقافة الإسلامية، وبقي هذا المصدر صافياً، وسيظل صافياً نقياً إلى يوم القيامة، وكل هذا يرجع إلى أن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظه، وهذا ما لا يتوفر في كل الكتب السابقة، التي تناولت إليها يد البشر مبدلةً ومحرّفة. وهو كلام الله سبحانه وتعالى، الذي تنهل منه الثقافة الإسلامية التي تمتلك خصائص كثيرة تنفرد بها وتميزها عن غيرها من كل الثقافات السائدة والباطنة، وتجعلها ذات طبيعة خاصة، وصبغة متفردة، وشخصية مستقلة، فلذلك تناولت بعض من هذه الخصائص كالربانية التي تنسب إلى الرب سبحانه وتعالى، والعالمية التي جاء بها الإسلام لكل البشر، والإيجابية التي تظهر في عدم إيذاء الآخرين، والشمول الذي جعلها محيطة بالإنسان لكل ما يحتاجه، وبينت مدى إسهام الثقافة الإسلامية في رُقي الإنسان من خلال هذه الخصائص المذكورة.

ملخص البحث:

يعالج هذا البحث قضية رُقي الإنسان من خلال خصائص الثقافة الإسلامية. تحدثت فيه عن: مفهوم الثقافة في اللغة، وخلصت فيها إلى أنها التهذيب والحثق والفتنة والتقويم وسرعة التعلم، ودلفت إلى تعريفها في الاصطلاح: ووجدتها ذات أبعاد كبيرة ودلالات واسعة، فهي: الإلمام الواسع عن طريق البحث والتنقيب في مجموعة كبيرة من العلوم. وعرفتها في الاصطلاح الإسلامي: حيث لم يعرف هذا المصطلح لدى المسلمين ولم يتداول بمعناه الشائع إلا بعد الاتصال بالثقافات والحضارات الأخرى، ثم انتقلت لبيان خصائص الثقافة الإسلامية التي تميزها عن الثقافات الأخرى والتي أخذت منها أنموذجاً تمثل في: الريانية، والإيجابية، والشمول، والعالمية، ولقد كان لهذه الخصائص مساهمة كبيرة في رُقي الإنسان، وهي التي تُؤهل للقيادة، وإلحاق الرحمة بالعالمين. تحدثت عن الريانية كونها أول الخصائص، ومن أعظم مزاياها أن الوحي الإلهي وضع أصلها وحدد معالمها، فهي الوحيدة من بين الثقافات التي ترجع في مصدرها لله وحده، عكس الثقافة الغربية التي تستمد مصدرها من الفكر الفلسفي اليوناني والقانون الروماني والنصرانية المنحرفة أو الفلسفة الوضعية. ثم انتقلت لخاصية الشمول فوجدت هذه الخاصية جمعت الشعوب والقبائل والقوام، وحققت النقلة النوعية من دولة اللون والجنس والأرض إلى أمة ودولة الفكر والعقيدة، حيث أصبح الكسب والاختيار هما معيار التفاضل، وتحقيق كرامة وإنسانية الإنسان.

وتحدثت عن الإيجابية وما تقدمه هذه الخاصية إسهاماً في رُقي الإنسان يتمثل في اهتمامها بالقيم الإنسانية، وإلزامها الإنسان بالعمل والإخلاص فيه حسب طاقته وإمكاناته ومواهبه، وتحذره بشدة من التواكل والتخاذل والتكاسل، وإحساس المسلم بمسؤوليته، ومكانته وبأهمية خلقه في هذه الحياة الدنيا، وعدم إيذاء الآخرين، والإحسان إليهم، و تحديد دور الفرد والمؤسسة والأسرة والمجتمع والدولة في

حراسة الهوية، وتربط ذلك بمعطيات التاريخ الإسلامي، هذا ما يجعل المسلم محيطاً بكل جوانب الحياة من حوله غير معتكف على نفسه، مهتم بغيره ومحترم لحقوقهم. وتحدثت عن العالمية التي تميزت الثقافة الإسلامية بها، وتستمدّها من عالمية الإسلام الذي جاء منادياً بأنه دين عالمي، لكافة الناس، بقيمه المثلى التي تصلح لكل زمان ومكان وتتصهر مع التصورات والأفكار الجديدة، وهذه تُسهم في رُقي الإنسان من خلال أنها إنسانية لا تفرض نفسها على الآخرين، بل تعرفهم وتعترف بهم، فهي لم توضع لجنس ولا للون ولا لبيئة معينة، بل موجهة للبشرية جمعاء، تأمر بمكارم الأخلاق والتسامح والإخاء والعفو والتعاون على أساس أن البشرية تشمل وحدة إنسانية متكاملة تحت على التعايش السلمي العالمي بين أبناء الشعوب عن طريق التعارف بما يفضي إلى إسعاد البشر.

Abstract

This research addresses the issue of paper through human characteristics of Islamic culture. Talked about: the concept of culture in the language, and concluded where it polite and Wiz and business acumen, calendar and speed of learning, and Delft to define the terminology: and found large in size and significance and wide, they are: familiarity with the broad through research and exploration in a wide range of sciences. And defined in the terminology of Islamic: where did not know this term for Muslims not trading sense is common only after contact with cultures and other civilizations, and then moved to the characteristics of Islamic culture that distinguish them from other cultures, which took Menhanmozja represent: Lord, and positive, and inclusive, and the World, and has been for these properties contribute significantly to the advancement of human, which would qualify for leadership, and inflict compassion worlds. talked about the Lord being the first properties, one of the greatest advantages that divine revelation put origin and select landmarks, they are only one of the cultures which returns at source to God alone, unlike Western culture which derives its source from the Greek philosophical thought and Roman law and Christianity distorted or positivism. then moved to property coverage and found this property collected peoples and tribes and textures, and achieved a qualitative leap from the State of color, sex and the earth to the nation and the state of thought and belief, where he became earning and choice are the standard differentiation, and achieve human dignity and humanity. And talked about the positive and what they offer this property to contribute to the advancement of human is in their interest to human values, and forcing human work and dedication it according to his ability and potential and talents, and warning him strongly of dependency and weakness and laziness, and a sense of Muslim

responsibility, and prestige and importance of his creation in this life, and not to harm others, and treat them, and determine the role of the individual and the institution, the family, society and the state in guard identity, and linking it with data Islamic history, this is what makes the Muslim surroundings in all aspects of life around him is the same retreat, interested in someone else, and respectful of their rights.

And talked about the world that has characterized Islamic culture them, and derive from the universality of Islam who came calling as a universal religion, for all people, valued at optimum fit every time and place and fused with perceptions and new ideas, and this contributes to the advancement of human through it humanely does not impose itself on others, but you know and recognize them, they are not put to the sex nor color nor for a certain environment, but directed to mankind collectively, ordered morality, tolerance and brotherhood, forgiveness and cooperation on the basis that human include unit humanitarian Mtalhtges peaceful coexistence World between peoples through dating leading to happiness of human beings

المبحث الأول تعريف الثقافة في اللغة والاصطلاح

أولاً: الثقافة في اللغة:

بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية نجد أن لكلمة (الثقافة) عدة معانٍ ومشتقات، بعضها قريب من بعض. ومن معانيها: الحذق والفتنة وهي سرعة التعليم وأخذه، وفهمه، وبه يكون الضبط لما يتعلمه، والظفر به وإدراكه. "تَقَفْتُ العلم أو الصناعة في أَوْحَى مُدَّةٍ إِذَا أُسْرِعَتْ أَخَذَهُ، وَغَلَامٌ تَقِفٌ لَقِفٌ" (١) وفي حديث الهجرة: (... هو غلامٌ شابٌ لَقِنٌ تَقِفٌ...) (٢) أي ذو فتنة وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه. "ومن المجاز: أدبه وتقفه. ولولا تَقِفُكَ وتوقيفُكَ لما كنت شيئاً وهل تهذبتُ وتَقَفْتُ إلا على يدك" (٣) وكلمة (تقف) في معجم المقاييس لأبي الحسن بمعنى: "النَّاء والقاف والفاء كلمة واحدة إليها يرجع الفروع، وهو إقامة دَرءِ الشيء. ويقال تَقَفْتُ القنَّاة إِذَا أَقَمْتَ عَوَجَهَا-وتَقَفْتُ هذا الكلام من فلانٍ، ورجل تَقِفٌ لَقِفٌ، وذلك أن يصيب عِلْمٌ ما يسمعه على استواء" (٤).

(تَقِفَ) - تَقَفًا: صار حاذقًا فَطِنًا.فهو تَقِفٌ. والخَلُّ:اشتدت حُموضته فصار حريقًا لذاعًا، فهو تَقِيفٌ. والعلم والصناعة: حَذَقَهُمَا. والرجل في الحرب: أدركه. والشيء: ظفر به" (٥) وجاءت هذه الكلمة في عدد من آيات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا تَنْفِقْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال: ٥٧] وقال تعالى: ﴿فَخَذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [النساء: ٩١] وقال تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١] وقال تعالى: ﴿إِن يَنْفِقُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [المتحنة: ٢] ففي كل هذه الآيات ذُكرت كلمة (ثقافة)، وهذا ما يؤكد أنها من الكلمات العربية الأصيلة، لأنها مشتقة من الكلمة العربية (تقف) التي وردت في آيات القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي فصيح.

و(تَقِفَ)الشيء: أقام المعوجَّ منه وسواه. والإنسان أدبه وهذبه وعلمه.
و(تَقَفَّ): مطاوع تَقَفَّه، ويقال: تَقَفَّ على فلان، وفي مدرسة كذا.

و(الثَّقَافَةُ): العلومُ والمعارفُ والفنون التي يُطلبُ الحدقُ فيها^(٦).
تَقَفَ: تَقَفَ الشَّيْءَ تَقْفًا وَتَقَافًا وَتُقُوفَةً: حَدَقَهُ. وَرَجُلٌ تَقَفٌ وَتَقَفٌ وَتَقْفٌ: حَاقِقٌ فَهْمٌ. وَتَقَفَ الرَّجُلُ تَقَافَةً أَيْ صَارَ حَاقِقًا خَفِيفًا. وَتَقَفْتُ الشَّيْءَ حَذَقْتُهُ، وَتَقَفْتُهُ إِذَا ظَفَرْتُ بِهِ^(٧) قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِمَّا تَنْفَقْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَن خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٥٧] وأحياناً تأتي كلمة ثقافة من باب: (ظرف)، تَقَفَ الرَّجُلُ مِنْ بَابِ: ظَرْفٍ صَارَ حَاقِقًا خَفِيفًا فَهُوَ (تَقَفٌ مِثْلُ ضَخْمٌ وَمِنْهُ الْمُتَاقِفَةُ). وَ(الثَّقَافُ) مَا نُسَوِيَ بِهِ الرِّمَاحَ وَ(تَنْقِيفُهَا) تَسْوِيبُهَا^(٨) وَمِنْ خِلَالِ الْمَعَانِي اللُّغَوِيَّةِ لِكَلِمَةِ تَقَافَةً يَنْضَحُ جَلِيًّا أَنَّ التَّقَافَةَ هِيَ: الَّتِي تُعَلِّمُ النَّفْسَ الْبَشَرِيَّةَ وَتَعْمَلُ عَلَى إِصْلَاحِهَا وَتَقْوِيمِهَا، حَيْثُ إِنَّهَا تَأْخُذُ بِأَسْبَابِ الْمَعْرِفَةِ وَطَرِيقَةِ إِجَادَتِهَا.

ثانياً: الثقافة في الاصطلاح:

كلمة ثقافة من الكلمات ذات الأبعاد الكبيرة، والدلالات الواسعة، وهي من ضمن المصطلحات التي تجري على الألسن كالمدينة، والتربية...، ولم تكن هذه الكلمة شائعة الاستعمال إلا حديثاً، ولم يكن هنالك علم مستقل يسمى الثقافة، لذلك لم يوجد تعريف اصطلاحي محدد ومتفق عليه، لذا كثرت وتعددت آراء المختصين في تعريفهم للثقافة، فمنهم من قال بأنها عبقرية الشعب، فعرّفها في صورتها الحية، بأنها تعني: "وحدة ذات أجزاء متماسكة ومترابطة فيما بينها بروابط داخلية تحدها عبقرية الشعب الذي وضعها مطابقة لأخلاقه وأذواقه وتاريخه"^(٩) ففي الغرب تعرف الثقافة بأنها تراث الإنسانية الإغريقية اللاتينية فلذلك يأتي معنى الثقافة على رأيهم بأنها: فلسفة الإنسان^(١٠) لأنها ذات علاقة وظيفية بالإنسان. وبما أنها ذات علاقة بالإنسان كفرد، أيضاً لها علاقة وظيفية بالجماعة، كما عرفها (يادانوف) بأنها: "فلسفة المجتمع"^(١١) وهذا يدل بأن الثقافة نظرية في السلوك، أكثر من أنها نظرية في المعرفة.

أما معنى الثقافة في التاريخ ذكرها مالك بن نبي في كتابه مشكلة الحضارة حينما قال: "لا يمكن أن نتصور تاريخاً بلا ثقافة، فالشعب الذي فقد ثقافته قد فقد حتماً

تاريخه، لذلك هي: ليست علماً يتعلمه الإنسان، بل هي محيط يحيط به، وإطار يتحرك داخله، فهي الوسط الذي تتكون فيه جميع خصائص المجتمع المتحضر، و تتشكل فيه كل جزئية من جزئياته، تبعاً للغاية العليا التي رسمها المجتمع لنفسه، بما في ذلك الحدّاد، والفنان، والراعي، والعالم، والإمام، وهكذا يتركب التاريخ^(١٢) وهذا التعريف كما يرى الباحث شمل تعريف الغرب، والتعريف الذي ذكره (يادانوف) بأن الثقافة فلسفة الإنسان، والمجتمع، فالمجتمع يشكل الثقافة، والإنسان يتشكل داخل هذا المحيط تبعاً للغاية العليا التي رسمها المجتمع لنفسه.

أما علماء التربية قالوا إن الثقافة هي: "مجموعة الأفكار والمُثل والمعتقدات والعادات والتقاليد والمهارات وطرق التفكير ووسائل الاتصال والانتقال وطبيعة المؤسسات الاجتماعية في المجتمع الواحد"^(١٣) فالمجتمع الواحد هو رمزٌ لإطار حياةٍ واحدةٍ تجمع ما بين راعي الأغنام، والعالم في مقتضيات مشتركة.

ففي اللغات الأجنبية، تعني كلمة ثقافة (Culture). في معناها المادي بأنها: "فلاحة الأرض وتنمية محصولاتها - وهذه الكلمة عندما توسعت في اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية شملت في معناها المعنوي تنمية العقل والذوق والأدب، حتى أصبحت عند فلاسفة العصور الحديثة تعني: مجموعة عناصر الحياة وأشكالها ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات"^(١٤) والحضارة الأوربية هي حضارة الزراعة، والإنسان الأوربي عامة هو إنسان الأرض، لذلك كان من الضروري بأن كلما يستنتج من الأرض في مجال الزراعة له أثر مهم في نفسية الإنسان الأوربي، كما له إسهام في صياغة رموز حضارته، وبما أن الثقافة ثمرة من ثمار عصر النهضة الأوربية حينما أصبحت معنوياً تشمل تنمية العقل والذوق والأدب، فهذا يتوافق مع كلام مالك بن نبي عن عصر النهضة الأوربية في القرن السادس عشر الذي رمز لها في كتابه مشكلة الثقافة بأنها: "انبثاق مجموعة من الأعمال الأدبية الجليلة في الفن وفي الأدب وفي الفكر"^(١٥). هنالك تعريف جامع ومانع للثقافة، للأستاذ الدكتور محمد زين

الهادي العرمابي، يقول فيه: "هي الإلمام الواسع العام عن طريق البحث، والتتقيب في مجموعة كبيرة من العلوم، والفنون والمعارف النظرية ذات الدلالة، والخبرة التي تُكتسب عن طريق الحواس لصقل الموهبة وتنقية الفطرة وتهذيبها، ليكتسب الإنسان الرقي والتقدم للظفر بمعاني الخير والعدل"^(١٦) فالعَرَمَابِي تعريفه للثقافة جاء معبراً عن المعارف الكثيرة، والعلم الواسع العام بالتنوع في المعرفة لاشتمال الثقافة لكل العلوم والفنون، وأيضاً ربط تهذيب النفس بتنقية الفطرة وتنمية المواهب، وهذا يتفق مع تعريفها في المعاجم اللغوية، بأنها (تهذيب، ورقي، وظفر) هذا ما جعل التعريف مانعاً وجامعاً. وعرفها محمد الجوهري بأنها: "أساليب الحياة الشائعة لدى جماعة أو مجتمع معين، والتي تظهر في أقوال الناس وتصرفاتهم أو عاداتهم خلال حياتهم الجمعية"^(١٧). وعندما يقول الجوهري بأن الثقافة، أساليب حياة كأنما يقصد الأسلوب المشترك لمجتمع بأكمله من علمائه إلى فلاحيه، وعندما يذكر بأنها أساليب الحياة الشائعة لدى جماعة أو مجتمع، نجده يتفق مع تعريف مالك بن نبي العملي للثقافة، الذي يقول فيه بأنها: "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه"^(١٨) وحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي يتحدث عن أن القيم الاجتماعية لدى أي جماعة هي التي تؤثر في تشكيل الفرد، أو المولود الذي يولد على الفطرة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ يُنَصْرَانِهِ أَوْ يُمَجْسَانِهِ)^(١٩) هذا ما جعل التعريف قوياً، ومتوافقاً مع المقولة التي تقول: إن الإنسان ابن بيئته، ولو قارنا ما بين تعريف مالك بن نبي للثقافة الإسلامية - بأن القيم هي التي تشكل الفرد وتؤثر فيه، و التعريف الآخر: بأن الثقافة أساليب تظهر في أقوال الناس وتصرفاتهم، وأخذنا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: (فأبواه يهودانه...) لوجدنا أن الثقافة عبارة عن المحيط الذي تتشكل فيه طباع وشخصية الفرد، لأن هذا المحيط صورة مألوفة يستأ نسها منذ مهده،

وهذا يعكس حضارةً معينةً لدخوله في مقومات الإنسان ومقومات المجتمع. وبما أن هذه الثقافة مصطلح كثير التعريفات، واختلفت وجهات نظر العلماء والمفكرين فيها، ولكن وبالتمعن والنظر في تلك التعريفات المذكورة والمختلفة يرى الباحث وجود بعض الأسس لمفهوم الثقافة التي تتمثل في الآتي:

١/ القيم والمبادئ المنبثقة عن العقيدة والفكر وهي بمثابة الأساس للثقافة.
٢/ الثقافة هي التي تصوغ شخصية الفرد متمثلة في سلوكه، وهي التي تشكل هوية الأمة.

٣/ الثقافة إجمالاً تشتمل على الجوانب المعنوية كالفنون والآداب والمبتكرات.
٤/ هي التي تنقل القيم والمبادئ من الفكر إلى العمل. وإذا كانت هذه الأسس لمفهوم الثقافة من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي المتعدد، إذاً عندما يُقال: أنها: تهذيب وتقويم الإنسان؛ هذا يُصبح بمثابة الميزان لكل عمل يُدعى صاحبه بأنه داخل في منظومة الثقافة !! لأنها أصبحت كالعقاب الذي توزن فيه الأعمال الثقافية؛ فما كان مُهذّباً ومُقوماً ومُحدّثاً لمن توجه إليه هذه الأعمال فهو ثقافة، وإلاّ فلا؛ لأن الآن أصحاب الفن والغناء الهابط مثلاً، يطلقون عليه ثقافة، وأيضاً هذه الكلمة تطلق على كثيرٍ مما ليس فيه تهذيب وتقويم.

ثالثاً: الثقافة في الاصطلاح الإسلامي:

التعريف الاصطلاحي للثقافة الإسلامية لا يبعد كثيراً عن التعريف العام للثقافة، وهذا المصطلح لم يكن معروفاً لدى المسلمين ولم يتداول بمعناه الشائع، إلا بعد الاتصال بالثقافات والحضارات الأخرى، والثقافة الإسلامية مبنية على العقيدة الإسلامية الصحيحة، لذلك كثرت تعاريفها الاصطلاحية، فمنهم من قال بأنها: التراث الحضاري، ومنهم من وصفها بمقومات الأمة الإسلامية، وهناك من رمز لها بأنها معرفة مستمدة من مصادر الإسلام، وآخرون عرفوها بأنها تحقيق الأهداف التي دعا إليها الإسلام... الخ. وكل هذه التعريفات ما هي إلاّ اجتهادات من بعض العلماء والمفكرين، الإسلاميين، ومنهم من يرى حياة الأمة الإسلامية أساساً يدور عليه التعريف، وبهذا تكون الثقافة الإسلامية عندهم مرادفة للدراسات الإسلامية، أو العلوم

الإسلامية، وهؤلاء هم الذين عرفوها تعريفاً عاماً بأنها: "معرفة مقومات الأمة الإسلامية العامة بتفاعلاتها في الماضي والحاضر من دين ولغة وتاريخ وحضارة وقيم وأهداف مشتركة بصورة واعية هادفة"^(٢٠) وهناك مجموعة أخرى من العلماء ترى أن الثقافة الإسلامية علمٌ جديدٌ له موضوعاته الخاصة التي تميزه عن غيره من العلوم الإسلامية، وهؤلاء يعرفونها بأنها: "معرفة التحديات المعاصرة المتعلقة بمقومات الأمة الإسلامية، ومقومات الدين الإسلامي"^(٢١) وهذا التعريف يجعل الثقافة الإسلامية علماً مستقلاً مميّزاً عن غيره من العلوم الإسلامية الأخرى، حتى ينتهي لها أن تقوم بالتوجيه السياسي والاقتصادي والاجتماعي، والتربوي والصحي، والعلمي لبناء الأمة الإسلامية. فلذلك هي عبارة عن الموجه لحياة الأمة المسلمة. وجاء تعريف الثقافة الإسلامية عند العرماي بأنها: "الحياة العملية والعلمية والمعرفية والسلوكية التي يعيشها المسلمون وفقاً للإسلام وتصوراتهِ"^(٢٢) ويوجد تقارب ما بين التعريف السابق، وتعريف العرماي، الذي يصورها حركة عملية علمية لحياة المسلم حتى يقوم بتطبيق ما جاء به الإسلام، متداولاً في ذلك العلم المستمدة جذوره من القرآن الكريم والسنة النبوية، حتى تظهر هذه الثمرة لتكن سلوكاً للمسلم، والتعريف الآخر عندما يقول: بتفاعلاتها في الماضي والحاضر، نجد أن هذا التفاعل لا يتم إلا بالعلم والعمل الذي من لوازمه الحركة، فالعلم والعمل والحركة موضع الاتفاق ما بين التعريفين، وهناك تعريف آخر للثقافة الإسلامية يتفق مع هذين التعريفين في انعكاس الاستفادة من التجارب المنبثقة عن تلك المعرفة على حياة المسلم وسلوكه في المجتمع، والتعريف يقول إنها: "المعرفة المستمدة من مصادر الإسلام وأصوله، وما خلفه المسلمون من تراث، وما أستفادوه من التجارب الإنسانية، وما ينبثق عن تلك المعرفة من قيم سلوكية، تتعكس على حياة المسلم، وقيم معرفية تمكنه من مواجهة التحديات المعاصرة"^(٢٣) إذاً هي: حركة المسلم في هذه الحياة عملاً وعلماً ومعرفةً وسلوكاً، وفقاً للدين الإسلامي وتصوراتهِ الكاملة للحياة بكل أنماطها، منسوبة للإسلام، والحياة المنسوبة للإسلام هي: ربانية، لأنها موافقة للشريعة الإسلامية التي تُقاس عليها أفعال المسلم. ويرى الباحث أن الثقافة الإسلامية هي: العمل والحركة لمعرفة مقومات الدين الإسلامي في الماضي والحاضر، ومعرفة التحديات والتيارات

الفكرية المعاصرة. ومن خلال هذه التعريفات الإسلامية للثقافة يخلص الباحث إلى أنها سلوك واحد يجب أن يتصف به الرئيس والمرؤوس، لأن جذور شخصيتهما تغور في أرضٍ واحدة، وهي المجال الروحي للثقافة الإسلامية، وهذا ما كان سائداً في بداية ميلاد المجتمع الإسلامي الذي تخرج في مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث يتحد طابع هذه الثقافة لدى الخليفة والبدوي، وهذا واضحٌ عندما ألقى سيدنا عمر ابن الخطاب خطبته عند توليه الخلافة، فقال قولته المشورة: "أيها الناس من رأى منكم فيّ اعوجاجاً فليقومه... فالرد ما نطق به أحد البدو البسطاء: "والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا"^(٢٤) فالخليفة في هذه المقولة كان متجهاً صوب مجتمع متغذي بالثقافة الإسلامية وجاء الرد من هذا المجتمع على لسان أحد البدو. فمعنى هذا أن الخليفة والبدوي بصورةٍ واحدةٍ لأنهما ينتميان إلى الثقافة الإسلامية هذا ما يجعلها تربط الأفراد بعضهم ببعض، كما جاء في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الأنفال: ٦٣

المبحث الثاني

الربانية

المقصود بكون الثقافة الإسلامية ربانية بأن كلما فيها من تصورات للوجود ومقومات الحياة مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، الذي تنهل من معينه، حيث نجد الأصل في مصدرها يعتمد على الوحي الإلهي، والأصول والقواعد الكلية التي

جاء بها الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ النجم: ٣، ٤.

ومن أعظم مزايا الربانية أن الوحي الإلهي وضع أصلها وحدد معالمها، قال تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الواقعة: ٨٠، فلذلك نجدها ربانية المصدر باعتبارها جزء من حيث يقول الله تعالى: ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ النحل: ٨٩ وهي تتصف بصفة الربانية التي في المنهج، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يوسف: ١٠٨ وهي الوحيدة من بين الثقافات التي ترجع في مصدرها لله وحده، عكس الثقافة الغربية التي تستمد مصدرها من الفكر الفلسفي اليوناني والقانون الروماني والنصرانية المحرفة أو الفلسفة الوضعية. فلذلك نجدها ربانية وهي: نسبة للرب سبحانه وتعالى، لأنها تستمد أصولها وروافدها من مصدر ثابت وهو القرآن الكريم. وهذا أصدق ما يوصف به نمط حياة الأمة الإسلامية - أنه صبغة إلهية، فأنماط الحياة عند غير المسلمين تحدها العادات والتقاليد والنظريات والمناهج التي يضعها مفكروها وعباقرتها، وتتفرد الأمة دون غيرها بنمط إلهي، أصدق ما يُقال فيه إنه صبغة إلهية^(٢٥) قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ البقرة: ١٣٨. وربانيتها تجعلها تنطلق من منطلق إيماني، وهذا تميز لأن مدرج القيم وألويات المعايير وترتيب المصالح ينبع من مراقبة الله والإيمان باليوم الآخر. والذي جعل الثقافة الإسلامية تتميز بخاصية الربانية أن صورتها للوجود بكل خصائصه، ومقوماته مستمد من الله، تلقاه الإنسان كاملاً بخصائصه هذه ليتكيف به ويطبق مقتضياته في حياته، ويعني هذا أن المسلم يعتقد أن الله الذي خلق هذا الكون هو الذي خلق الإنسان، وكلما في هذا الوجود يسير على سنة الله مسخراً لصالح الإنسانية، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الجاثية:

١٣. إن جميع معالم الثقافة الإسلامية منبثقة من تعاليم الإسلام ومتأثرة بها، لأنها مبنية على أساس من الإيمان بالله بغايات الأشياء وأصولها، وهذا ما يميزها عن الثقافات المادية التي لا تهتم إلا بأسبابها ومظاهرها. فإله سبحانه وتعالى لم يخلق الإنسان عبثاً بلا هدف وغاية، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ المؤمنون: ١١٥.

ورسالة البشر عموماً في هذه الأرض هي العبودية لله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ فاطر: ٥ "فإنه أنزل الدين وبيّن فيه الحال التي ينبغي أن يكون عليها المسلم في الأحوال الظاهرة والباطنة، كما بين الهدف من وراء هذه الحياة، وأوضح الأسلوب الذي تنتهجه الأمة الإسلامية في حياتها، وقد سماه القرآن الكريم الصراط المستقيم، وشرع لنا أن ندعوه ليهدينا إليه في كل ركعة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة: ٦ لأنه مخالف لطريق اليهود والنصارى والمشركين في القديم والحديث" (٢٦) ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الفاتحة: ٧ فلذلك نجد أن رابنية الثقافة الإسلامية تحقق الإشباع لكل حاجات وأشواق الإنسان، إذا ربط وجوده بها، لأنها صادرة عن خالق الإنسان الذي يعلم من خلق، وهذا ما يجعلها تنمي وترعى من قدرة الإنسان الإبداعية، لأنها تطلق كل طاقاته من عقالاتها في إطار من الضبط والتنظيم. هذا الذي جعلها أمام الظروف الإنسانية لا خلفها. وطالما أن الرابنية كلام الله تعالى وهو القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم نجد أن هذا لا يتنافى مع التقدم والرقي الذي لا ينافي التمسك بالدين، لأن ما خيله أعداء الدين لضعاف العقول ممن ينتمي للإسلام من أن التقدم لا يمكن إلا بالانسلاخ من دين الإسلام باطل لا أساس له، فالقرآن يدعو إلى التقدم في جميع الميادين التي لها أهمية في دنيا أو دين، ولكن ذلك التقدم في حدود الشريعة

الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَاللَّنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنْ اِعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ سبأ: ١٠، ١١ ففوله تعالى: (أَنْ اِعْمَلْ سَابِغَاتٍ) يدل على الاستعداد لمكافحة العدو، وقوله تعالى: (وَاعْمَلُوا صَالِحًا) يدل على الاستعداد في حدود الدين الحنيف، (وَأَعِدُّوا) أمر جازم بمسايرة التطور في الأمور الدينية^(٢٧).

المبحث الثاني

الإيجابية

تمتاز الثقافة الإسلامية بخاصية الإيجابية التي هي من إحدى السمات البارزة في ثقافة الأمة الإسلامية، فالإسلام يأمر أتباعه بالسعي في الأرض وأعمارها وهذا تمثل في اختيار الإنسان خليفة في الأرض، وهذه الخلافة تحتم عليه أن تكون له علاقة بربه، وعلاقته بربه تجعل له علاقة بما حوله، كعلاقته بالكون والحياة،

وعلاقته بالآخرين، وهذه تعتبر إيجابية تمتاز بها الثقافة الإسلامية دون غيرها من الثقافات الأخرى. لذلك نجد إنسان الثقافة الإسلامية غير سلبي، إنما هو إيجابي، لأن الإنسان السلبي هو الذي يعيش بعيداً عن أحداث الحياة، وبعيداً عن قضاياها، أما إيجابية المسلم فتظهر في علاقته بالآخرين، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة: ٢ وأيضاً اهتمامه بأمر المسلمين من حوله كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال: ﴿مَنْ لَا يَهْتَمُّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ﴾^(٢٨) والثقافة الإسلامية تجعل المسلم دائماً نفسه تزنو بأن يرى راية الإسلام عالية خفاقة. فإذا كانت الثقافة الغربية تقول: لا تؤذي غيرك، لا تؤذي جارك، لا ترمي الأذى في الطريق، في نفس الوقت نجد أن الثقافة الإسلامية تقول: مثل ذلك بل تضيف إليه أحسن إلى غيرك، أحسن إلى جارك، أمت الأذى عن الطريق، وهذا درجة من درجات الإسلام الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضغّ وسبعون شعبةً والحياء شعبةً من الإيمان)^(٢٩) وكل هذه القيم التي تدعو لها الثقافة الإسلامية تدخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل: ٩٠ وإيجابية الثقافة الإسلامية في أنها تحرر المسلم من التبعية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يكون أحدكم إمعة...)^(٣٠) وهذه التبعية التي نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم، واستنكرها على سلوك المسلم نجدها الآن سائدة في كثير من تقاليد الناس وأعرافهم، وحتى في أمثالهم، التي يتداولونها أحياناً، كما في المثل السوداني المشهور "الموت وسط الجماعة عرس" ويرى الباحث أن أي تبعية عمياء، بدون توطين، وتحري أياً كان نوعها تعتبر سلبية للمسلم. فإيجابية الثقافة الإسلامية تظهر في أتساع آفاقها حينما نجدها تدعوهم إلى القوة والعزة، والاستعلاء بعقيدتهم ومنهجهم، والثقة بدينهم وبربهم، والانطلاق في الأرض كلها لتحرير الإنسان وإخراجه من عبودية العباد إلى عبودية الله وحده، وتحقيق إنسانيته العليا التي وهبها له الله

تعالى فاستلبها منه الطغاة، وهذا ما عبر عنه ربي بن عامر مع الحضارة الفارسية حيث بين لهم الهدف الذي جاءوا من أجله، حينما حدثهم عن الإسلام الذي جاء لإخراج الناس من عبادة البشر إلى عبادة الله وحده، ولذلك قال ربي بن عامر - رضي الله عنه - لرستم قائد جيش الفرس: "إن الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام..."^(٣١) هذا غير الثقافات الإنسانية التي تعتبر ضيقة يعيش أفرادها في إطار ضيق في هذه الحياة الدنيا. والبشر عندهم قوانين وعادات وأعرافهم تحكمهم وتسري فيهم العقائد الضالة المنحرفة كما في الثقافة الغربية التي تعتمد في مصادرها على النصرانية المحرفة، فلذلك يصبح المنهج الذي يسيرون عليه خليط من الأفكار والمبادئ والعقائد والتصورات، وهذه قد تتضارب فيما بينها، لأن هذه طبيعة المبادئ الأرضية، وفي هذا قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ النساء: ٨٢ وكل هذا يشكل ضيق في الأفق ويحجر على الفكر، ويجعل العباد يعيشون في دائرة ضيقة تُقيد أعمالهم، وهو ضلال في الآخرة سرعان ما يحول الحياة إلى شقاء قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ طه: ١٢٤ وكل هذا سببه ضيق الأفق. وإذا ما نظرنا للنظرية الضالة التي لا تؤمن بخالق الكون، بل تؤمن بأزلية المادة لوجدنا هذه النظرية الفاسدة والتي تعرف بصراع الطبقات وهي الشيوعية، التي جعلت الإنسان محكوماً للمادة تسيره وتوجهه، هذا ما جعل المبدأ يضيق عندهم أكثر عما كان يعيشه العابد للوثن، والساجد للصنم، والزاعم أن عيسى ابن الله! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. فهؤلاء بأعراضهم عن هدي السماء يكونون قد قتلوا أشواق الروح، وقطعوا الصلة بين النفس وخالقها فجفت فيها ينابيع المودة والمحبة والطمأنينة. أما في الإسلام فإن حياة المسلم تدور حول محور الإيمان بالله رباً واحداً لا شريك له، ولذلك نجد أن إيجابية الثقافة الإسلامية تُشبع حاجات الإنسان المادية والمعنوية في

الحياة الدنيا فالعبادات الشعائرية، وقراءة القرآن الكريم تهذب النفس البشرية وتخلصها من الشُّح وعبادة الشهوات، وترتقي الروح وترتقي بها في عالم الإيمان، وأحكام الأُطعمة والأشربة والجهاد في سبيل الله تعالى والاقتصاد، وما أشبهها تنمي جسد الإنسان وتغطي حاجاته المادية، وتضبطها بالضوابط الشرعي. وأيضاً تظهر إيجابيتها في أنها تكافلية تهتم بمعنى العطاء قبل الأخذ، هذا ما لا يتوفر في غيرها من الثقافات التي تهتم بالأخذ دون العطاء. فالتكافل الذي يُعد من إيجابيات الثقافة الإسلامية نجده في الأنظمة الحديثة تكافل مادي لا يتناول إلا الحاجيات المادية، حيث تضمن هذه المجتمعات نوعاً من الضمان لأفرادها إذا تعرضت لإحدى المعوقات؛ بينما التكافل في الثقافة الإسلامية يتجاوز الصورة المادية إلى صورة أرحب وأوسع من التعاون على ضمان المصلحة الفردية والجماعة، وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة: ٢ ولذلك نجد أن التكافل في الثقافة الغربية لا يشمل إلا حلقة الفرد والجماعة، بينما في الثقافة الإسلامية يشمل سائر الدوائر والحلقات، فهناك تكافل بين الفرد وذاته وبين الفرد وأسرته القريبة، وبين الفرد والجماعة، وبين الأمة والأمم، وبين الجيل والأجيال المتعاقبة؛ ويبدو تكافل الفرد مع ذاته في تطهير النفس وتزكيتها ونهيتها عن الشهوات، أما تكافل الفرد مع أسرته فهي الدائرة الأولى التي يبني عليها كيان المجتمع، ويعيش الفرد في كنفها وحمايتها، وقد أكد الإسلام على ضرورة تمتين أواصر العلاقات بين أفراد الأسرة فأقام فيها تضامناً مادياً ومعنوياً على أساس وثيق من المودة والترحم، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ لقمان: ١٤ وقال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ الأحزاب: ٦ والإسلام شرع نظامين عظيمين ليضمن حداً معيناً

من التكافل بين أفراد الأسرة هما: نظام الإرث، ونظام النفقة. وأيضاً هناك تكافل بين الفرد والجماعة يقوم على تشريع الزكاة فهي الوسيلة الوحيدة لتحقيق العدالة الاجتماعية في الإسلام وقد جعلها الله تعالى ركناً من أركان الدين وفرضها في أموال القادرين، ولأهميتها قرنت بالصلاة في معظم الآيات، والثقافة الإسلامية تضيف في هذا الجانب إلى التشريع إثارة الضمير الإنساني، وتوجيه الوجدان وإحياء الشعور بالواجب، فيرغب الناس ويأمرهم بالتبرع والإنفاق بطرق كثيرة. وأيضاً تظهر إيجابية الثقافة الإسلامية في كل جانب من جوانبها، فهي تلزم الإنسان بالعمل حسب طاقته وإمكاناته ومواهبه، وتحذره بشدة من التواكل والتخاذل والتكاسل قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ الرعد: ١١ والرسول صلى الله عليه وسلم أكد على مبدأ العمل إلى آخر لحظة في الحياة: (إِنَّ قَامَتْ عَلَىٰ أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيُغْرِسْهَا)^(٣٢) وهذا إرشاد من النبي صلى الله عليه وسلم لإيجابية العمل الذي هو خير من سؤال الآخرين، والله تعالى يقول: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء: ٩٥ فلذلك من إيجابية الثقافة الإسلامية أنها ترتقي بالإنسان حيث لا ترضى أن يكون كسولاً يعيش على هامش الحياة دون أن يؤثر في الكون أو المحيط الذي حوله، بل لا بد أن يؤثر في الناس. إذاً لابد للمسلم أن يتصف بإيجابية الثقافة الإسلامية حتى يتحقق له وعد الله سبحانه وتعالى الذي وعده إياه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الحجرات: ١٥. قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

الْفَاسِقُونَ ﴿النور: ٥٥﴾. هذه الآيات تبين سمة الإيجابية التي ينبغي أن يكون عليها المسلم. فعلى المسلم أن يبرز ما اتصفت به الثقافة الإسلامية في واقع الحياة سلوكاً وقولاً، صيانةً للحقوق حتى تعطي المحروم وتأخذ على يد الظالم، وتمنع الطغيان، حتى يسود العدل بين الناس، وهذا سيساعد على نشر الثقافة الإسلامية بين الأمم المختلفة. ولا يتحقق هذا إلا أن تكون إيجابية الثقافة الإسلامية فاعلة، تجعل المسلم صالحاً في نفسه مصلحاً لغيره في المجتمع من حوله، لأن الإسلام يأمر بالسعي في الأرض وأعمارها، وينهي عن خرابها بأن لا يُفسد فيها، وهذا جاء في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ آل عمران: ١١٠. وتعاون المسلم مع غيره بالبر والتقوى واحدة من إيجابية الثقافة الإسلامية، لأن هذا ما أمر الله به المسلم، قال تعالى: ﴿...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾ المائدة: ٢. وأيضاً تظهر إيجابية الثقافة الإسلامية في عدم إيذاء الآخرين، والإحسان إليهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل: ٩٠، وأنها تحدد دور الفرد والمؤسسة والأسرة والمجتمع والدولة في حراسة الهوية، وترتبط ذلك بمعطيات التاريخ الإسلامي، هذا ما يجعلها تجعل المسلم محيطاً بكل جوانب الحياة من حوله غير معتكف على نفسه، مهتم بغيره ومحترم لحقوقهم. فلذلك نجد ما تقدمه خاصية إيجابية الثقافة الإسلامية في رُقي الإنسان يتمثل في اهتمامها بالقيم الإنسانية.

ويرى الباحث وجود فوائد عدة لخاصية الإيجابية تتمثل في:

أ- إحساس المسلم بمسؤوليته، ومكانته، وبأهمية خلقه في هذه الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ المؤمنون: ١١٥. فهذا حافز للمسلم على العمل الإيجابي المستمر في ذات نفسه ومع الآخرين حوله.

ب- تُحقق غاية عظمى هي: مرضاة الله تعالى وذلك من خلال وجود الإنسان في هذه الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وهذا يجعل المسلم يتقن عمله ويجوده ويخلص فيه، وبيتغي به وجه الله تعالى، و الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (... وإن العبد إذا عمل عملاً أحب الله أن يتقنه)^(٣٣).

ج- إشعار المسلم بفخامة مسؤوليته وأهميته في الحياة وأحداثها ووقائعها، وأنه لم يخلق عبثاً قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] وأن يشعر المسلم أن وجوده فوق الأرض يستوجب عملاً إيجابياً مستمراً مع ذاته والآخرين.

د- إعلاء شأن المسلم ورفع قيمته في نظر نفسه والآخرين والرفع من اهتماماته وغاياته وأهدافه، وبذلك يأبى أن يزاحم الناس من أجل مطالب قريبة، أو يقاتلهم حرصاً على منافع شخصية، وهذا رُقي الإنسان. وأيضاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث أصحابه على الإخلاص في العمل: (أَخْلَصْ دِينَكَ يَكْفِيكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْعَمَلِ)^(٣٤).

المبحث الثالث

الشمول

لما كانت الثقافة الإسلامية ربانية المصدر، كانت ولا بد أن تكون دعوة شاملة لكل مناحي الحياة، منظمة لعلاقة الإنسان بربه من الناحيتين العلمية والعملية، فلذلك الشمول هو النظرة الشاملة دون تجزئة للكون والحياة، وهذه المفاهيم نجدها تركز على القيم الإنسانية وتصونها. يُراد بشمول الثقافة الإسلامية أنها ثقافة تستوعب كل جوانب الحياة، وتدخل في كل مجالاتها، وذلك لأنها تستمد مقوماتها وخصائصها من الإسلام، الدين الشامل الذي جاء مستجيباً لحاجات الإنسان جميعها، ومنظماً لكل شئون البشر، فربي الفرد، ونظم المجتمع، ووحدة الأمة، وأقام الدولة، وضبط حركة الإنسان في مجال الاقتصاد، والسياسة، والاجتماع، والأخلاق،

ومن ثم فمن الطبيعي أن تكون الثقافة المنبثقة منه شامله لكل ما يحتاجه الإنسان عن الله وحقيقته، والكون وطبيعته، والإنسان وهويته، وكيفية تعامل الإنسان مع خالقه، ومع الكون من حوله، ومع أخيه الإنسان^(٣٥) ويتمثل هذا الشمول في الآتي:

العقيدة: التي تعطي المسلم تصوراً كاملاً عن الإنسان والكون والحياة، كما تعطي تفسيراً للقضايا الكبرى التي شغلت الفكر الإنساني ولا تزال تشغله، فالإنسان كان وما زال يتساءل عن أصله ونشأته ومصيره ونهايته وعلاقته بخالقه ودوره في هذا الوجود، والعوالم الخفية المستورة وراء هذا الكون المشهود. فالدين الإسلامي منهج حياة كاملة لا مجرد عقيدة مستترة، فهو منهج واقعي تنمو الحياة في ظله وتترقى، فهو دعوة إلى الحياة في كل صورها وأشكالها وفي كل مجالاتها ودلالاتها، والتعبير القرآني يحمل هذا كله في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ الأنفال: ٢٤ وإحاطة الشريعة بالإنسان تتمثل في أنها: تصاحبه طفلاً وشاباً وشيخاً، بل أنها تعنى به قبل ميلاده وبعد وفاته، فهناك أحكام الجنين، وأحكام تتعلق بالموتى من غسل وتكفين وصلاة وقسمة ميراث، هذه كلها أحاطت بها الشريعة الإسلامية أحاطه كاملة شاملة، والشريعة كما عنيت بالفرد عنيت بالمجتمع في كل المجالات التي تهمة اجتماعية كانت أو سياسية أو اقتصادية، فلذلك نجد أن الشريعة قانون كامل يضم في أطوائه كل القوانين التي سماها البشر بأسماء مختلفة. فأحاطة الشريعة بالإنسان تجعل الثقافة الإسلامية تدعو إلى شريعة الله التي تحرر الإنسان وتكرمه، وتجعل البشر كلهم صفاً واحداً لا يتحكم فرد في شعب، ولا طبقة في أمة، ولا جنس في جنس، ولا قوم في قوم بل كلهم أحراراً متساوين في ظل شريعة من عند الله تعالى رب العباد. والدين الإسلامي هو النظام الإلهي الذي ختم الله به الشرائع وجعله نظاماً كاملاً شاملاً لجميع نواحي الحياة، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ

يُحْشَرُونَ﴾ الأنعام: ٣٨. وهذه كله إسهام الثقافة الإسلامية من خلال خاصية الشمول في تناول كل مناحي العبادات والمعاملات والاجتماع والاقتصاد والإدارة والقضاء والحكم الداخلي والسياسة الخارجية، وهي بذلك تكون قد استوعبت كل جوانب الحياة المختلفة بكل مجالاتها، كما أنها أحاطت بالإنسان في جميع مراحل حياته المختلفة، وفي علاقاته المتعددة، واحتياجاته الروحية الداخلية، والمادية الخارجية، قال تعالى: ﴿... وَرَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّبَاتًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ النحل:

٨٩

والمنهج الإسلامي جاء شاملاً لكل شيء حتى تعليم الناس دخول الخلاء وهذا ما شهد به اليهود، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدٍ، قَالَ: قِيلَ لِسَلْمَانَ: قَدْ عَلَّمَكُمُ نَبِيِّكُمْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّىٰ الْخِرَاءَةِ قَالَ: أَجَلٌ (نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ أَوْ بِبَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ يَسْتَنْجِيَ أَحَدُنَا بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ يَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ) (٣٦) وشمولها حتى مع الحيوان والإحسان إليه وعدم إيذائه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِنْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَىٰ مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي. فَنَزَلَ الْبِنْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَدِهِ حَتَّىٰ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لِأَجْرٍ فَقَالَ فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ) (٣٧). وامرأة حبست هرة دخلت النار، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عُدْبَتُ امْرَأَةٍ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّىٰ مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ لِأَنَّهَا أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ) (٣٨) وأمرنا بالإحسان حتى في عملية الذبح (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلِيُجِدَّ أَعْيُنُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُحْرِجْ دَبِيحَتَهُ) (٣٩)، فلذلك نقول أن شمول الثقافة الإسلامية يتسم بالتناول الكلي للموضوع باعتباره وحدة مترابطة، سواء كان هذا الموضوع قيمة

أو نظاماً أو فكراً. وهذا الشمول هو الذي جعل للثقافة الإسلامية أثر في الحياة المعاصرة، حيث كان المسلمون في العصور المتأخرة قد حصروا بعض الإسلام في قضايا محدودة كالعبادات والحدود، ولا زال في يومنا هذا تجد من يحصر الإسلام في قضية واحدة كالذين يتحدثون فقط عن التوحيد، وأيضاً هناك من يتحدث عن الجهاد فقط، تاركين من خلفهم قضايا عديدة. فخاصية الشمول تدعوهم إلى منهج للحياة، ومنهج للفكر، ومنهج للتصور يطلقهم من كل قيد إلا ضوابط الفطرة المتمثلة في الضوابط التي وضعها خالق الإنسان العليم بما خلق. و الثقافة الإسلامية وضحت أن نظام الإسلام شامل، والعبادة في الإسلام كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية "اسم جامع لكما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة و الباطنة"^(٤٠) لذلك يُعتبر الشمول بالنسبة للثقافة الإسلامية ميزة خاصة غير موجودة في الثقافات الأخرى. وله ثمرات تتمثل في الآتي: إعطاء تفكير للقضايا الكبرى التي شغلت الفكر الإنساني، ولا تزال تشغله بحيث يشعر الإنسان بالطمأنينة من خلال معرفته ونشأته، ومصيره ونهايته، وعلاقته بخالقه، ودوره في هذا الوجود، فلا يبقى الإنسان حائراً ضعيفاً بدرب الحياة، بل يجد الملجأ والملاذ ويشعر بالطمأنينة والاستقرار. صيانة الإنسان من الاعتماد على التشريعات والأنظمة غير الإسلامية بحيث أن الإسلام أشتمل على كل التشريعات التي يحتاج إليها الإنسان في حياته الخاصة والعامة.

المبحث الرابع العالمية

تميزت الثقافة الإسلامية بخاصية العالمية التي تستمدها من عالمية الإسلام الذي جاء منادياً بأنه دين عالمي، لكافة الناس، بقيمه المثلى التي تصلح لكل زمان ومكان وتتصهر مع التصورات والأفكار الجديدة قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سبأ: ٢٨.

وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ البقرة: ٨٣ وقال تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا نِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ التكوير: ٢٧ وأيضاً نجد عالميتها تظهر في الحديث: عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَنْزُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بَعْرٌ عَزِيزٌ أَوْ بَدَلٌ دَلِيلٌ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ)^(٤١)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ رَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا رَوَى لِي مِنْهَا...) (٤٢) ولما كانت هذه الثقافة شاملة لكل الناس، أيضاً نجد أن الرحمة

التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم شاملة لكل الناس قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧، وهذه العالمية أكدها حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (أُعْطِيْتُ حَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِّنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ وَأَحَلَّتْ لِي الْعَنَائِمُ وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَأُعْطِيْتُ الشَّفَاعَةَ)^(٤٣) فلذلك تتمثل عالمية الثقافة الإسلامية في عالمية خاتم النبوة صلى الله عليه وسلم التي يمثلها الإسلام، والتي تمثلت في الإرادة الإلهية التي أخرجت الناس من الظلمات إلى النور قال تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ إبراهيم: ١ فهذه العالمية لا تتسم بالجبر ولا تعرف بالإكراه لأنها تتفق مع الفكرة التي فطر الناس عليها وعالميتها في أنها إنسانية لا تفرض نفسها على الآخرين، بل تعرفهم وتعترف بهم، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران: ٦٤ وقال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾ البقرة: ٢٥٦ وهذا الذي جعلها تتصهر مع التصورات والأفكار الجديدة التي أنتجتها عصر العولمة والتكنولوجيا الحديثة، مبادئ الديمقراطية والحدثة المبنية على ثقافة الحوار وقبول الآخر. والثقافة الإسلامية ليست ثقافة العرب، ولا الفرس، ولا الروم، ولا ثقافة الرجل الأبيض ولا الأسود، إنما هي ثقافة البشر كلهم، على اختلاف أجناسهم وألوانهم فهي لم توضع لجنس ولا للون ولا لبيئة معينة، ورسالة الإسلام عالمية موجهة للبشرية جمعاً لأنها تأمر المسلمين بمكارم الأخلاق والتسامح والإخاء والعفو والتعاون على أساس أن البشرية تشمل وحدة إنسانية متكاملة، لأجل ذلك اخترقت الرسالة المحمدية الحدود الزمنية، فامتدت خمسة عشر قرناً من الزمان، وستبقى إلى أن يرث الله الأرض، واخترقت الحدود المكانية فامتدت عبر مشارق

الأرض ومغاربها، واحتوت كل اللغات، فأسلم العجم والعرب. وهذا ما تؤكد رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء في مختلف بقاع العالم يدعوهم فيها إلى الإسلام. ولذلك نجد أن عالمية الثقافة الإسلامية تتمثل في انصهارها مع كل الثقافات لتأخذ ما هو مفيد ونافع، ولكنها لا تذوب لأنها محمية ومحصنة بمصادرها الثابتة والأصيلية: القرآن الكريم والسنة النبوية، فلذلك نجدها امتدت طويلاً حتى شملت أباد الزمان، وامتدت عرضاً حتى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقاً حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة. فلذلك نجد أن عالميتها تسهم في رُفِي الإنسان من خلال الدعوة التي تحث على التعايش السلمي العالمي بين أبناء الشعوب عن طريق التعارف بما يفضي إلى إسعاد البشر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: ١٣.

"والإسلام يُقر بانقسام البشر إلى شعوب وقبائل ولكن هذا ليس، للنتاخر والتقاتل والتفاضل، إنما للتعارف، لأن مقياس التفاضل في الإسلام هو التقوى، والإيمان والعمل الصالح، وفي ظل هذا المقياس يرتقي الناس جميعاً ويتنافسون في ميدان العمل الصالح. هذا عكس الثقافات البشرية التي تقوم على اعتبارات وأسس محكومة بالنظرية القومية والعنصرية، فإذا رجعنا لهتلر نجده صنف أمته في المرتبة الأولى وجعل العرب في الرابعة عشر وكان شعارهم: ألمانيا فوق الجميع. فالثقافة الإسلامية عبر خاصية العالمية تحمل تصوراً نحو الإنسان باعتباره مخلوقاً مسئولاً مكلفاً امتزجت تركيبته الخلقية نفخة من روح الله، وقبضة من طين الأرض، فهذه النفخة الروحية هي التي تدفع كل إنسان للشوق إلى أصله، قال تعالى: ﴿وَلْيُنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ العنكبوت: ٦١ ولا يزال داء العنصرية يسري في الأمة الغربية، أما في الإسلام فالناس أخوة وقد جاءت تعاليم الإسلام للإنسان كإنسان بغض النظر عن جنسه

ولونه وموطنه، جاءت أحكامها وفق الطبيعة الذاتية للإنسان مجردة عن الزمان والمكان، ذلك أن الإنسان كإنسان ثابت لا يتغير ولا يتبدل في روحه وعواطفه وأشواقه وضروراته وغرائزه، أما الثقافات البشرية فكل أمة تستمد ثقافتها من مألوفها وذوقها وموروثاتها الأدبية وظروفها الجغرافية، وضرورتها الإقليمية، وحاجاتها الاجتماعية، فكيف يمكن أن تكون ثقافة أمة من هذه الأمم ثقافة للعالم كله، هذا ما يدل على بطلان ما ينادي به الغرب الآن بعالمية الثقافة الغربية، وبطلان نظرية صمويل هنتغتون في صراع الحضارات، وفوكا ياما عن نهاية التاريخ، ومبادئهم الأرضية هذه تتجه إلى فئة معينة من الناس دون سواهم، في حين أن غاية الإسلام إيجاد الإنسان الصالح، فلذلك الإسلام يجعل كل إنسان هدفاً لمنهجه. وذلك حينما نجد أن الثقافة الإسلامية تعرف العالم بمعالم الهوية الإسلامية وتوضح جوانبها للمل الأخرى وهي ضرورة شرعية وفريضة دينية تتبع من هذا الدين العالمي الذي يحرم احتكار الخير، ويأمر بتداوله، ويؤكد ذلك اصطفاة هذه الأمة لتكون آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ...﴾ آل عمران: ١١٠ فالهوية الإسلامية شمس يجب أن تسطع على كل بقعة في الكون لتسهم في رُقي الإنسان.

فالواجب على المسلمين حتى يبينوا عالمية الثقافة الإسلامية أن يحولوا الخطاب الحضاري البشري من مفرداته الإقليمية إلى آفاقه العالمية، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ الأعراف: ١٥٨ لأن هذه الثقافة هي الوحيدة التي قررت التحول بالنهج البشري من ضيق القوميات المتعددة إلى أفق أوسع أتساعاً، والتوسع في مصالح الناس، والنفع من الخصوصية إلى العمومية على أساس من التبادل العادل للمنافع انطلاقاً من حقيقة قول النبي صلى الله عليه وسلم: (...أعطه. فإن خير الناس أحسنهم قضاء)^(٤٤) وحقيقة أن المسلمين شركاء في

ثلاث: (الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ فِي الْكَلْبِ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ)^(٤٥) هذا خلاف عولمة الشر والباطل التي تسعى الثقافات الأخرى من خلالها لنشر قيمها ومبادئها التي تدعو إلى اعتداء الأقوياء على الضعفاء، علماً بأن السلوك الذي ينشأ من هذا الاعتقاد يشير إلى نفوق الموارد الاقتصادية، متناسين العلاقة التي تحكم الأرزاق والدواب. فواجب المسلمين حتى تسهم الثقافة الإسلامية من خلال عالميتها في التدافع والتعاون البشري من أجل صرف الفساد عن الأرض، وإقامة الأمن فيها يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ البقرة: ٢٥١ وبهذا تكون الثقافة الإسلامية من خلال عالميتها قد أحدثت تحولاً جذرياً بهوم واهتمامات ومسئوليات الناس من القومي والإقليمي إلى المستوى العالمي بقرار وحدة الأسرة البشرية وتكامل مصالحها وأمنها، وأن الأرض سكنهم المشترك الذي ينبغي المحافظة على سلامتها وعدم الإفساد فيها.

الخاتمة وتشمل:

أولاً النتائج:

توصلت من خلال هذا البحث إلى عدة نتائج من أهمها:

١ - أن المفهوم العام للثقافة الإسلامية تمثل في الحذق والفتنة والذكاء وسرعة التعلم والضبط والتقويم والتهديب، وهي تعني: معرفة مقومات الأمة الإسلامية العامة بتفاعلاتها في الماضي والحاضر.

٢ - تحقق الثقافة الإسلامية من خلال خصائصها كل حاجات وأشواق الإنسان إذا ما ربط وجوده بها، لأنها صادرة من خالق الإنسان، فهي ترعى وتُتمى من قدرة الإنسان الإبداعية في إطار من الضبط والتنظيم.

٣ - وطالما أن هذه الخصائص نابعة من هدي القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم نجد أن هذا لا يتنافى مع التقدم والرقي الذي لا ينافي التمسك بالدين، عكس ما تخيله أعداء الدين لضعاف العقول ممن ينتمي للإسلام من أن التقدم لا يمكن إلاّ بالانسلاخ من دين الإسلام، فهذا باطل لا أساس له، لأن القرآن يدعو إلى التقدم في جميع الميادين التي لها أهمية في دنيا أو دين، في حدود الشريعة الإسلامية.

٤- أن خصائص الثقافة الإسلامية نظام عام عالمي ينصف الشعوب الضعيفة والأمم المظلومة، وصالح البشرية جمعاء، بجلب الاستقرار والطمأنينة، بحيث يشعر كل فرد أنه ليس أقل من غيره، وأنه يحصل على حقه كاملاً غير منقوص.

ثانياً: التوصيات:

١ - على المسلمين أن يبذلوا جهداً مكثفاً لإقناع الآخرين بالرُقي الموجود في خصائص الثقافة الإسلامية والتي تمتاز بها عن غيرها من الثقافات؛ والمتمثل في: العدل والمحبة والمساواة والوفاء والمسالمة.

- ٢ - لأهمية الثقافة الإسلامية بمعناها العام، أوصي جميع المسلمين بدراسة واعية لكل مقوماتها وتراثها، ليتميز كل مسلم عن غيره من أفراد الأمم الأخرى في أخلاقه وتفكيره واتجاهه وسلوكه، وينهض لأداء رسالتها.
- ٣ - الدعوة إلى الفضيلة، وإيثار الأخلاق الكريمة، وتعود النفس على المشاعر والعواطف الطيبة.

ثالثاً: المراجع والمصادر والهوامش

- ١/ أساس البلاغة، جار الله أبي القاسم محمود ابن عمر الزمخشري، ط١، ص ٧٤، دار صادر للطباعة والنشر-بيروت - لبنان - سنة ١٤١٢-١٩٩٢م.
- ٢/ أخرجه البخاري، كتاب: الجمعة، باب: الطيب للجمعة، حديث رقم: ٥٨٠٧، ج ١٤، ص ٤٨٥.
- ٣/ المرجع نفسه، ص ٧٤.
- ٤/ معجم المقاييس في اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، ص ١٨٥، دار الفكر - بيروت - لبنان.
- ٥/ المعجم الوسيط، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، ج ٢، ص ٩، طبع على نفقة إدارة التراث الإسلامي بدولة قطر.
- ٦/ المرجع نفسه، ص ٨٩.
- ٧/ لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، ج ١٢، ط ١، ص ١١٢، دار إحياء التراث الإسلامي - بيروت - لبنان - سنة ٢٠٠٥م.
- ٨/ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ص ٨٤، دار بن كثير - دمشق - بيروت.
- ٩/ مشكلات الحضارة، مالك بن نبي، ص ١٠٠، دار الفكر دمشق سوريا، سنة ١٤٠٦-١٩٨٦م.
- ١٠/ المرجع نفسه، ص ٨٢.
- ١١/ المرجع نفسه، ص ٨٢.
- ١٢/ المرجع نفسه، ص ٨٥.
- ١٣/ دراسات في الثقافة الإسلامية، رجب سعيد شهوان، ط٢، ص ٨، مكتبة الفلاح الكويت، سنة ١٤٠١-١٩٨١م.
- ١٤/ معركة الحضارة، قسط نطين زريق، ط١، ص ٣٣، دار العلم بيروت، سنة ١٩٦٤م.
- ١٥/ المرجع نفسه، ص ٢٥.

- ١٦ / الثقافة الإسلامية الماضي والحاضر والمستقبل، محمد زين الهادي العرمابي، نقلًا عن كتاب: ما بين الثقافة والحضارة - لمحمد مضوي، ص ٦.
- ١٧ / العولمة والثقافة الإسلامية، محمد الجوهري حمد الجوهري، ص ٦٢، دار المعارف - القاهرة - سنة ٢٠٠٥ م.
- ١٨ / مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، مرجع سابق، ص ٧٤.
- ١٩ / أخرجه البخاري، كتاب: الجمعة، باب: الطيب للجمعة، حديث: ١٣٨٥، ج ٣، ص ٣٧٩.
- ٢٠ / الثقافة الإسلامية الأصلية ومستجدات العصر، أمين محمد سلام، ط ٢، ص ١٧، الأكاديميون للنشر والتوزيع - الأردن، سنة ١٤٢٧ - ٢٠٠٧ م.
- ٢١ / المرجع نفسه، ص ١٢.
- ٢٢ / ما بين الثقافة والحضارة، محمد مضوي، ص ٩، مرجع سابق.
- ٢٣ / دراسات في الثقافة الإسلامية المصادر - الأسس الخصائص - التحديات، أحمد محمد أحمد الجلي، ص ٩، مطابع السودان للعملة - الخرطوم - السودان، سنة ١٤٠ - ٢٠٠٦ م.
- ٢٤ / تفسير القرآن الكريم "تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا ج ١١، ص ٢١٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٠ م.
- ٢٥ / نحو ثقافة إسلامية أصلية، عمر سليمان الأشقر، ط ٨، ص ٤٤، عمان الأردن - دار النفائس للنشر والتوزيع سنة ١٤٢١ - ٢٠٠٠ م.
- ٢٦ / نحو ثقافة إسلامية أصلية، عمر سليمان الأشقر، ص ٤٤، مرجع سابق.
- أضواء البيان، ج ٣، ص ١٣٩٦ -
- ٢٧ / أخرجه الطبراني، كتاب: المعجم الصغير، باب: الميم من اسمه محمد، حديث: ٩٠٧، ج ٢، ص ١٣١.
- ٢٨ / أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: شعب الإيمان، حديث: ١٦١، ج ١، ص ٤٦.
- ٢٩ / المرجع نفسه، الجزء الثاني، حديث رقم: ٨٦٧٧، ج ٨، ص ٦٣.
- ٣٠ / تاريخ الأمم والملوك، ابن جرير الطبري، ج ٣، ص ٢٣، دار الفكر - سنة ١٩٧٩ م

- ٣١ / أخرجه الإمام أحمد، كتاب:مسند المكثرين من الصحابة،باب:مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث: ١٢٩٠٢، ج ٢٠، ص ٢٥١
- ٣٢ / أخرجه الحاكم، كتاب: المستدرك، حديث: ٩٠٩، ج ٢، ص ٣٧٩.
- ٣٣ / شعب الإيمان للبيهقي،باب:إخلاص العمل لله عز وجل تحريم أعراض الناس،حديث رقم: ٦٤٤٤ ج ٩، ص ١٧٥.
- ٣٤ / أنظر، دراسات في الثقافة الإسلامية، أحمد محمد أحمد الجلي، ص ٥٥، مرجع سابق.
- ٣٥ / أخرجه الإمام أحمد،كتاب: تنمة مسند الأنصار، باب:حديث سلمان الفارسي،حديث: ٢٣٧١٩، ج ٣٩، ص ١٢٤.
- ٣٦ / أخرجه مسلم، كتاب: السلام، باب: فضل ساقى البهائم، حديث: ٥٩٩٦، ج ٧، ص ٤٤.
- ٣٧ / أخرجه البخاري، كتاب: الجمعة، باب: الطيب للجمعة، حديث: ٣٤٨٢، ج ٨، ص ١٥
- ٣٨ / أخرجه مسلم، كتاب: الصيد والذبائح، باب: الأمر بإحسان الذبح، حديث: ٥١٦٧، ج ٦، ص ٧٢
- ٣٩ / أخرجه الإمام أحمد، كتاب: المسند ، باب: المجلد الرابع، حديث: ١٧٠٨٣، ج ٤، ص ١٠٣
- ٤٠ / أخرجه مسلم: كتاب:الفتن وأشرط الساعة، باب:هلاك هذه الأمة بعضهم، حديث: ٧٤٤٠، ج ٨، ص ١٧١.
- ٤١ / أخرجه البخاري:كتاب:الصلاة،باب:قول النبي صلى الله عليه وسلم،حديث:٤٣٨، ج ١، ص ٤٤٨
- ٤٢ / أخرجه ابن ماجة،كتاب: التجارات، باب: السلم في الحيوان، حديث: ٢٢٨٥، ج ٢، ص ٧٦٧
- ٤٣ / أخرجه أبي داؤد في سننه،كتاب:الإجارة،باب: في منع الماء، حديث:٣٤٦٩، ج ٣، ص ٢٩٥.